كيف أصبح عالماً؟

د. أمجد محمد إدريس

تعريف العلم ومفهومه

كلنا يعلم ما هو تعريف العلم في معناه وسياقه وما الذي يقتضي لكي نطلق على معرفة ما أو مجال ما على أنه علم من العلوم أو لا. ولعلك قد تعود عزيزي القارئ لتراجع الجملة السابقة في هذا السياق لتجد أننا قد بدأنا حديثنا هذا بعبارة "كلنا يعلم" وتكررت معاني كلمة (علم) ثلاث مرات في ذات الجملة، فهل يمكن أن يعني لك ذلك أي شيء؟ فالعلم في معناه المطلق لم يكن ليرتبط بالمعنى الضيق الذي يفرضه علينا واقع الحياة اليوم في مفهوم العلم والإدراك لمساحة ضيقة من حياة الإنسان. ولعل القرآن الكريم، الذي هو كلام الله عز وجل المنزل، أكد على هذ الحقيقة بقوة. فالعلم في القرآن تعدى الحيز الضيق الذي نسب إلى العلم في المفهوم التقليدي لهذه الجانب من حياة الإنسان، حيث تعدى مفهوم العلم من حصره في مجالات أو صور محددة إلى رحاب أوسع تتصل في الأساس بالاعتقاد في وجود الله خالق السماوات والأرض العليم الذي هو المعلم العظيم في هذا الكون، ثم يمتد هذا الاعتقاد ليتحول إلى ممارسات ومفاهيم في عقولنا وصدورنا نحن عبيد الله إلى اشبه ما يكون بحلقة مستمرة من الممارسات العلمية الدائمة التي تجعل منا علماء في هذا الكون وهذه الحياة الدنيا. لعلك كنت من قبل دائم التساؤل حول ما هو العلم وما الذي يجعل منك عالماً أم لا؟ ولعل هذا التساؤل كان ينتابك حين يتناول الله عز وجل في القرآن الكريم قصص عن أنبيائه وعباده الصالحين فيخبر بانه عز وجل قد وهبهم علماً من لدنه أو انهم ذوو علم عظيم لما علمهم له الله عز وجل. ومنا من يدعو الله عز وجل دائماً في صلاته ودعائه أن يعلمه العلم العظيم، وهو ما يجب ان يدعو به كل من يريد النجاح في هذه الحياة الدنيا، بل وفي الحياة الآخرة ايضاً. لاحقاً قد يحدو هذا الأمر أحدنا أن يقرر البدء في البحث عن معنى ومفهوم العلم في القرآن وماذا يعني وما هي أساسيات هذا العلم. ولعل الكثير من علمائنا الأجلاء قد سبقونا وأسهبوا في هذا الجانب وقدموا لنا الكثير لفهم هذا الجانب، لكننا قد نفضل أن نفعل ذلك بأسلوبنا وعلى طريقتنا لعلنا نجد الطريق. وفيما العمل الذي بين يديك فقد كان ناتجه الأساسي أن قد أكدنا على حقيقة أن علم العلم وأساسه هو الاعتقاد الجازم والكامل والكلي في وجود الله عز وجل وفي قدرته وجلال كماله. هذا هو علم العلوم ومنبعها، ثم يتفصل هذا العلم ليذهب بعالمه إلى منابع العلوم الاخرى التي سنتطرق إلى بعضها فيما بعد.

بهذا المفهوم سنجد أننا في غير حاجة إلى ذكر ما الذي يعنيه العلم من الناحية اللغوية أو التطبيقية، فتعريف العلم لدى أحدهم سيختلف من تعريف شخص غيره له وكذلك كيفية الوصول اليه وتطبيقه. على كل منا نحن البشر أن يسعى لكي يصبح عالماً في هذه الأرض، وعليك بالتصديق أيها القارئ أنه بإمكانك أن تصبح عالماً جليلاً فقط إذا بدأت الطريق إلى الله لتعرف حقيقة الله عز وجل ولينطبق عليك قوله عز وجل (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) صدق الله العظيم. وبسبب سعيك هذا ستتفتح عندك أبواب ومساحات قد لا تصدق بوجودها إذا لم تبدأ هذا المسير. اسع لهذا الأمر كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام فجاءه الوحي (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) سورة القلم). الله عز وجل في هذا الوحي الأول لنبي الأمة قال (علم الإنسان) ولم يقل علم آدم عليه السلام أو وجه الحديث النبي الكريم عليه السلام فقال له (علمك ما لم تعلم)، بل وجه الأمر والحديث لنا نحن بني البشر في جملتنا. لعل هذه رسالة عظيمة من الله عز وجل إلى

عباده بالسعي إلى العلم. ولعل الله عز وجل وتعالى في علاه لم يكن ليختصر مفهوم العلم في أول رسالة للمسلمين في المفهوم التقليدي للعلم – وهذا فهمنا المحدود ولله العلم في ذلك من قبل ومن بعد، بل ستكون رسالة واسعة المعنى شاملة الأوصاف توصل قارئها إلى حقيقة هذا العلم الذي تحدثنا عنه من قبل ولا نود التكرار.

خلال رحلتك معنا في هذا البحث ستتكشف لديك حقائق العلم عن هذه المفاهيم سيكون من المفيد أن نشارك بها مع غيرنا لعلها تكون مما يساعد في تكشف هذا الأمر لديهم وتعم الاستفادة. وهذا هو الغرض من هذا العمل الذي بين يديك.

بعض الإحصاءات:

لفظ (العلم) في القرآن الكريم ورد بتصريفاته المختلفة فيما يزيد عن 750 مرة وذكر أخرون أنها 780 مرة إلا أنها في هذه الحدود، بينما قد يرصد الراصد ذكر مختلف مجالات العلوم في القرآن الكريم 680 مرة تتوزع على نحو 100 نوع من أنواع ومجالات العلوم التي سنتعرض لها بشي من التفصيل لاحقاً. وقد قمنا بوضع أبواب عامة لأنواع العلم التي ذكرت في القرآن وذلك لتسهيل عملية الإحصاءات التي يقوم على أساسها التحليل الذي بين أيديكم، وذلك على النحو التالي:

1. علم خص الله به ذاته وليس لغيره
2. علم أختص الله به ذاته وقد منحه او يمنح علمه لمن دونه بإذنه
3. علم من الله منحه للإنسان منذ الازل
4. علم من الله يمنحه للإنسان باستمرار الحياة
5. علم من الله يمنحه للإنسان يوم القيامة او في الاخرة

لعل الفائدة من هذا التقسيم أنه يساعد في حصر العلوم التي يعلمها أو يمكن أن يعلمها الإنسان وذلك من خلال فهمنا للآية (علم الإنسان مالم يعلم). فعلم الإنسان هو علم الله في الأساس وبالمطلق، لكن قد يختص الله بعض البشر ببعض جوانب هذا العلم أو يمنحه للإنسان وقت ما يشاء سواء منذ بدء خلق الإنسان في الأزل حين خلق آدم عليه السلام، مروراً بنزول الوحي من لدنه عز وجل على أنبيائه ورسله، وبقية البشر إلى يوم القيام حين يعلمنا الله عز وجل من علمه في تلك الحياة الاخرة، أو قد يختص الله تعالي ذاته العلية بعلوم لا يؤتيها أحد من الخلق وإن علا في مقامه عند الله من الأنبياء والرسول والأولياء. وفي الجدول التالي نأخذ لمحة سريعة حول إحصاءات هذه العلوم في القرآن الكريم:

مجال العلم	مرات ذكر مجال العلم في القرآن
علم أختص الله به ذاته وليس لغيره	348
علم أختص الله به ذاته وقد منحه او يمنح علمه لمن دونه بأذنه	54
علم من الله منحه للإنسان منذ الازل	4
علم من الله يمنحه للإنسان باستمرار الحياة	242
علم من الله يمنحه للإنسان يوم القيامة او في الاخرة	32
المجموع	**680**

سنلاحظ أن الإحصاء أعلاه يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى اختص ذاته العلية بأغلب أنواع العلوم دون سواه من مخلوقاته عز وجل، وقد سمى الله سبحانه وتعالى ذاته بالعليم في 32 موضع في القرآن الكريم بينما نسب إلى ذاته صفة العليم في 24 موضع، أي ما مجموعه 56 مرة، وذكرت كلمة العلم وتصريفاتها في الكثير من المواضع، وبذلك ارتبطت قدرة الله بمفهوم العلم في 348 مرة في القرآن الكريم، في كل هذه المواضع نسب الله سبحانه وتعالى أحد مجالات العلم لذاته عز وجل دون سواه. وإذا ما قارنا هذا الرقم مع عدد المرات التي ورد فيها مفهوم العلم الذي ربطه بما دونه من مخلوقاته سنجده يفوقه ليس فقط عدداً ولكن أيضاً في مضمون ومحتوى العلوم، وهو ما سنورده لاحقاً كما وعدنا من قبل.

هذه الإحصاءات تعكس حجم المحتوى المرتبط بمفهوم العلم في القرآن الكريم، وتوجهنا للاهتمام بهذا الجانب الذي قد يكون مصدر تحولنا بالكامل من أناس عاديين إلى مقام العلماء ليس فقط في الدنيا وبين الناس، وإنما في مقامنا عند الله تعالي ... يا له من مقام عظيم. اللهم اجعلنا من العلماء الذين يعلمون ويعرفون...آمين.

مجالات العلوم في القرآن الكريم:

من خلال الرصد في إحصاءات مفاهيم ومجالات العلوم في القرآن الكريم سنجد أن هناك عدد من أنواع العلوم الأساسية وكذلك الفرعية تم ذكرها في القرآن. بعض هذه العلوم تدخل تحت أنواع العلوم التي أختص بها الله سبحانه وتعالى ذاته العلية، ولكنها ضمت أيضاً عدد من العلوم التي وهبها الله عز وجل للإنسان بشكل عام. ولنلقى معاً نظرة على الجدول أدناه والذي يوضح مجالات العلوم التي أتى ذكرها في القرآن، ثم نبدأ لاحقاً بتناول هذه المجالات بشيء من التفصيل.

مجال العلم	علم أختص الله به ذاته وليس لغيره	علم أختص الله به ذاته ومنحه او يمنح علمه لمن دونه بإذنه	علم الله الذي منحه للإنسان منذ الازل	علم الله الذي يمنحه للإنسان باستمرار الحياة	علم الله الذي يمنحه للإنسان يوم القيامة او في الاخرة	مجموع
1. العلم بالأفعال والنوايا وما في الصدور	133	-	-	-	-	133
2. العلم بحقيقة الإيمان	-	-	-	1	-	1
3. العلم بما امر الله	1	-	-	2	-	3
4. العلم بمقام الله	10	4	-	36	-	50
5. العلم بملكوت الله	3	1	-	-	-	4
6. العلم في مجال العمل والتخصص	-	-	-	1	-	1
7. علم احياء الارض بعد موتها	-	-	-	1	-	1
8. علم كيفية احياء الموتى	1	1	-	-	-	1
9. علم الليل والنهار	2	-	-	4	-	6
10. علم اختلاف الوان الناس والدواب والانعام	-	-	-	1	-	1
11. علم استجابة الدعاء	1	-	-	-	-	1
12. علم استخدام الطين	-	1	-	-	-	1
13. علم استخدام النجوم للاستهداء	-	-	-	1	-	1
14. علم اسس وفوائد الصيام	-	-	-	2	-	2
15. علم الاجتماع	-	-	-	1	-	1
16. علم الاحاطة بالعلوم	18	-	-	-	-	18
17. علم الاخلاق	-	-	-	1	-	1
18. علم الاسماء	-	1	1	-	-	2
19. علم الآيات الكونية	1	-	-	-	-	1
20. علم البحار	1	-	-	5	-	6
21. علم البيان	-	-	-	1	-	1
22. علم التاريخ - الذين سبقونا وسننهم	8	-	-	5	-	13
23. علم التاريخ - علم التوثيق	-	-	-	1	-	1
24. علم التحقق من الخبر	-	-	-	2	-	2

مجال العلم	علم أختص الله به ذاته وليس لغيره	علم أختص الله به ذاته وقد منحه او يمنح علمه لمن دونه بإذنه	علم الله الذي منحه للإنسان منذ الازل	علم الله الذي يمنحه للإنسان باستمرار الحياة	علم الله الذي يمنحه للإنسان يوم القيامة او في الاخرة	مجموع
25. علم التسخير	-	1	-	2	-	3
26. علم كيفية التعلم	-	-	-	2	-	2
27. علم التأويل	-	6	-	1	-	7
28. علم التيقن في الشهادة	-	-	-	1	-	1
29. علم الجهاد	3	-	-	2	1	6
30. علم الحضارة والتقدم	-	-	-	1	-	1
31. علم اصل الحديد	1	-	-	1	-	2
32. علم الحكمة	-	8	-	4	-	12
33. علم الحكمة بالبصيرة	-	1	-	-	-	1
34. علم الحكمة والقضاء	-	1	-	-	-	1
35. علم الحلال والحرام	-	-	-	1	-	1
36. علم الذكر	-	-	-	1	-	1
37. علم الدعوة إلى الله	1	1	-	-	-	2
38. علم الرزق واسبابه	10	-	-	5	-	15
39. علم الرسالة والنبوة	19	3	-	5	-	27
40. علم الروح	1	1	-	1	-	3
41. علم الرياح والسحاب والمطر (الطقس)	2	-	-	4	-	6
42. علم الزراعة والنبات	-	-	-	4	-	4
43. علم الساعة والاخرة	22	1	8	26	21	78
44. علم السحر	-	-	-	5	-	5
45. علم الشعر	-	-	-	1	-	1
46. علم الشهاب الثاقب	1	-	-	1	-	2
47. علم الصيد	1	-	-	1	-	2
48. علم الطيران والسفر في الفضاء	-	-	-	2	-	2
49. علم العالم المحيط بنا	3	1	-	-	-	4
50. علم الغيب	40	-	-	-	-	40
51. علم الغيب - احوال الاولين والاخرين	6	1	-	2	-	9
52. علم الغيب والشهادة	6	-	-	-	-	6
53. علم الفلك المشحون	1	-	-	1	-	2
54. علم القراءة والتفسير	-	1	-	2	-	3
55. علم القرآن والكتاب	11	7	-	17	-	45
56. علم القضاء	-	1	-	-	-	1
57. علم المادة	1	-	-	-	-	1

مجال العلم	علم أختص الله به ذاته وليس لغيره	علم أختص الله به ذاته وقد منحه او يمنح علمه لمن دونه بإذنه	علم الله الذي منحه للإنسان منذ الازل	علم الله الذي يمنحه للإنسان باستمرار الحياة	علم الله الذي يمنحه للإنسان يوم القيامة او في الاخرة	مجموع
58. علم النوم	2	-	-	-	-	2
59. علم النجوم الهاوية	1	-	-	-	-	1
60. علم النفس كمستقر ومستودع	1	-	-	1	-	2
61. علم الوصية وحكمتها	1	-	-	1	-	2
62. علم اليقين المادي (من يؤمن بالماديات فقط)	-	-	-	1	-	1
63. علم اليقين بالله	3	2	-	17	1	23
64. علم اليقين في حكمة الله	-	1	-	-	-	1
65. علم كيفية انتاج العسل	-	-	-	1	-	1
66. علم تحري الحق	-	-	-	3	-	3
67. علم تحريم الزنا	1	-	-	1	-	2
68. علم تنزل الشياطين	1	-	-	-	-	1
69. علم توزيع الورثة	1	-	-	1	-	2
70. علم توزيع الغنائم	-	-	-	1	-	1
71. علم جريان الشمس لمستقرها	1	-	-	1	-	2
72. علم حساب الزمن عبر الشمس والقمر	1	-	-	1	-	2
73. علم حقيقة الدنيا	-	1	-	5	-	6
74. علم حكم الدية في القتل	1	-	-	1	-	2
75. علم كيفية خلق الجبال	-	-	-	2	-	2
76. علم خلق الازواج	1	-	-	2	-	3
77. علم كيفية خلق الانسان	9	1	-	8	-	18
78. علم كيفية خلق البعوض	-	-	-	1	-	1
79. علم تخفيف آثار الشيخوخة	2	-	-	2	-	4
80. علم خلق الجان من مارج من نار	-	-	-	1	-	1
81. علم خلق النجم الطارق الثاقب	1	-	-	1	-	2
82. علم خلق السماوات والارض	9	-	-	14	-	23
83. علم خلق الملائكة	1	-	-	-	-	1
84. علم إحياء العظام	1	-	-	1	-	2
85. علم سجود النجم والشجر	-	-	-	1	-	1
86. علم صناعة الملابس	-	1	-	-	-	1
87. علم ضرب الامثال	1	-	-	3	-	4
88. علم طبابة الاكمه والابرص	-	1	-	-	-	1
89. علم علاقة الشمس بالقمر	1	-	-	1	-	2
90. علم عواقب الأمور	1	1	-	-	-	2

مجال العلم	علم أختص الله به ذاته وليس لغيره	علم أختص الله به ذاته وقد منحه او يمنح علمه لمن دونه بإذنه	علم الله الذي منحه للإنسان منذ الازل	علم الله الذي يمنحه للإنسان باستمرار الحياة	علم الله الذي يمنحه للإنسان يوم القيامة او في الاخرة	مجموع
91. علم فضل الجمعة	1	-	-	1	-	2
92. علم قيام الليل	1	-	-	1	-	2
93. علم ما تنقص الارض من الناس	1	-	-	-	-	1
94. علم مصارف الزكاة وحكمتها	1	-	-	1	-	2
95. علم معرفة وفهم ذات النفس	1	1	-	-	-	2
96. علم نشأة النار	1	-	-	1	-	2
97. علم وهن بيت العنكبوت	1	-	-	1	-	2
98. علم نصر المؤمنين	9	-	-	4	-	13
99. علوم الدين	-	1	-	-	-	1

الجدول أعلاه يوضح عدد من مجالات العلوم التي يمكن رصدها في القرآن الكريم. لكن هذا العمل بكل ما فيه جهد هو عمل قاصر للغاية لا يمكن بحال من الأحوال أن يعد جهداً يمكن أن يحتوي ويضم كل أنواع العلوم في القرآن الكريم، بل قد يجد الراصد والعالم بالله وبعلوم الدنيا والاخرة ما فيه من القصور مما يجعله جهداً مقلاً. بالرغم من ذلك، لم تكن هناك محاولة سابقة لهذا الجهد في رصد مفصل لأنواع العلوم في القرآن الكريم، على الأقل في مصادر المعلومات التي أتيحت لنا في الوقت الحالي.

الجدول يوضح 101 مجالاً من مجالات العلوم تتراوح في تصنيفها ما بين العلوم التي اختص الله بها ذاته العلية دون من هم دونه من عبيده ومخلوقاته، ومنها ما هو لأهل الاختصاص من الأنبياء والمرسلين والأولياء، ومنها ما منحه الله لعبيده من بنو البشر لمن شاء له ذلك، مما أن منها ما هو من علم الحياة الآخرة مما خص به ذاته عز وجل أو ذكره لعباده في القرآن أو اختص به بعض عبيده ومخلوقاته من الأنبياء والرسل والملائكة وغيرهم. والراصد في هذا الجدول سيجد بعض الحقائق المتمثلة في أنواع العلم المختلفة التي سوف نتطرق لها في الفصول التالية.

الباب الأول
أنواع العلوم التي أختص الله بها ذاته عز وجل وليس لغيره

علم الإحاطة بالعلوم

لعل هذا الباب من العلوم هو ما يجعل الله عز وجل هو العليم الذي لا عليم فوقه عز وجل، وقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) سورة يوسف). الله عز وجل بقدرته وكمال علمه أحاط بكل العلوم إحاطةً لا يمكن أن يبلغها إلا واحد أحد في كل هذا الكون بما فيه من السماء والأرض وما بينهما. فالمنطق الذي أتت به الآية التي ذكرنها يقوم على أساس أن فوق كل عليم يكون هناك معلم، وهذا المعلم يحيط بما شاء الله به له من علم، ثم يعلو فوق هذا العليم آخر يفوقه في العلم بحيث يحيط الاخير بما أعطى الله عز وجل للأول من علم وغيره من العلوم بما شاء الله. وبذلك تتسع دائرة الإحاطة بالعلوم باتساع محتوى العلم والعلوم لأحد من خلق الله من البشر والجن والملائكة وغيرهم، وتتصل هذه السلسلة من الإحاطة بالعلوم حتى لا يصبح لأحد من المخلوقات لأن يحيط إلا بمدى محدود من العلوم التي شاء الله له أن يعرفها، وهنا يأتي العليم (معرف بألف ولام) الذي لا يعلم فوق علمه أحد. علم العليم وسع كل شيء في الوجود كما أخبر عز وجل عن نفسه (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) سورة طه). فعلم الإحاطة بالعلوم هو من علم الله الذي لا يدركه بشر أو أحد من الخلق.

العلم بالأفعال والنوايا وما في الصدور

هذا العلم هو من أكثر أنواع العلوم التي ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم وأكثرها ذكراً، فقد اتي ذكره في 133 موضع، والأمثلة عليه في القرآن أكثر من تحصى في هذا المقام ولك عزيزي القارئ أن تبحث في هذا المبحث المهم للغاية. وهو علم يضم ما يفعله الناس ويقولونه باختلاف أسمائهم وأجناسهم ومكانهم وزمانهم الذي عاشوا فيه وغير ذلك، سواء أن أسروا بذلك أو أعلنوه أو ذكروه بين أنفسهم لا لأحد اخر، وهو الذي يعلم النوايا في كل ذلك لا يعلمها غيره حتى من خصه الله من ملائكته لكتابة صحف أعمال كل الناس. هذا علم عظيم في محتواه ومكوناته وعظمه. نحن الان وفي هذا الزمان حوالي سبعة مليارات من البشر، دعك ممن سبقونا من الخلق، وممن هم سيأتون بعدنا بإذن الله وبعلمه، ودعك من خلق الملائكة، والجن، والدواب والنبات والكائنات الاخرى التي نعلم والتي لا نعلم، فتخيل إحاطة الله بأفعال الخلق ونواياهم وما في صدورهم في كل يوم وكل ساعة، بل كل جزء من الثانية! هذا العلم وحده إذا أبحر الإنسان فيه وفي التأمل فيما قد يتطلب من قدرة ومن حدود، سيجد أنه يعكس قدرة القادر العليم العظيم الذي لا يعضل عليه شيء، وهو الخالق القادر الكبير. العلم بالأفعال والنوايا وما في الصدور لم يؤتى لأحد من البشر وإن عظم وعلا شأنه عند خالقه، وما أوتي أحد من علم في هذا الشأن فهو ليس من باب العلم وإنما هو من باب الوحي بإذن الله، حتى لا تختلط عليك العلوم عزيزي القارئ. وحين تبحر في هذا الباب من العلم ستجد أن ما يعرف بعلم النفس في زماننا الحالي ومحاولة تفسير أفعال الناس وتصرفاتهم، ولماذا يفعلون ما يفعلون وقراءة ما في عقولهم

وسرائرهم هو ضرب من ضروب التخيل، وما سيجده الباحث في هذا المجال هو شيء يمكن أن لا يعدو أن يكون إلا محاولة للاكتشاف، لكنه بكل تأكيد ليس بعلم يقيني لا لبس ولا تشكيك فيه. كل النظريات التي تؤطر لفهم وتصنيف تصرفات الناس وأفعالهم وجعلها موضع تحليل واستنتاج لا تعدو أن تكون اجتهادات لا ترقى لمستوى اليقين، والذي هو أهم مبادئ العلم. لذا، لعلك عزيزي القارئ المسلم قد تكون من الباحثين في علوم النفس بكافة مجالاتها وفروعها، لعلنا ندعوك لمراجعة هذا المفهوم والتأكد من أنك مهما فعلت فلن ترقى للوصول إلى درجات العلم الإنساني الذي يمكنك من العلم بما في الصدور، والنوايا ومبررات الأفعال، فهذا من شأن الله عز وجل في خلقه، وإن كنت ستسعى في دروب علم النفس فعليك أن تسال الله عز وجل أن يلهمك التوفيق في جعل علمه الكامل في هذا الجانب سبباً في نصرك وتوفيقك، لكون أنك لن تستطيع وحدك مهما بلغت من العلم أن تصل إلى مبتغاك في هذا الباب من أبوب العلوم.

علم الغيب والشهادة

علم الغيب والشهادة هو علم يتصل بعلم الإحاطة بالعلوم بكل تأكيد، وهو مما اختص الله به ذاته العلية دون سواه من الخلق. الغيب كما ورد في كثير من التفاسير هو (العالم الذي يغيب عن الحواس، ولا تكفي الحواس وحدها للكشف والتعرف عليه)، أما الشهادة فهو (العالم الذي نراه ونلمسه ونسمعه وكل ما له علاقة بالحواس) وقيل كذلك اختصاراً (الغيب: هو ما غاب عن الناس، والشهادة: ما شهدوه وأبصروه وعاينوه). وبذلك فإن الجمع بين علمي الغيب والشهادة لا ولن يكون لأحد من الخلق وإنما هو لله عز وجل فيما خص به ذاته تقدس وتعالى، والذي تفرد بكل تأكيد بعلم الغيب بكل من وما فيه وهذا علم يتسع بما لا نستطيع نحن البشر أن ندرك أو نحيط. فالمستقبل كله غيب، بل وأغلب الماضي هو من باب الغيب، وقد يقول قائل أنه ما لا تدركه حواسك الأن وفي هذا اللحظة التي تقرأ فيها هذه السطور هو كذلك من باب الغيب. يرتبط بهذا الباب من العلوم باب اخر من العلم هو علم خلق الله الذي نعلم وكذلك الذي لا نعلم. فهذا الباب مثلا يرتبط بمجال من العلم نسميه نحن بني البشر علم المادة أو المواد والذي يبحث في كنه المواد وخصائصها ومما خلقت منه المادة وما استخدمت فيه المادة لخلق مخلوقات أخرى بما فيها الإنسان. في الاعتقاد أن الإنسان استطاع أن يكشف الكثير من محتويات هذا العلم وهو ما مكن الإنسان من خلق تطور كبير في الحضارة الإنسانية كما نشاهد في كل يوم، لكن ما يجب أن نعيه أن كل ما ندركه مما يمكن أن نطلق عليه "علم" في كنه المادة و المواد ما هو إلا إدراك متغير في أفضل أشكاله لما يمكن أن تكون عليه حقيقة المادة، وهذا التغير في الإدراك هو ما يجعل على سبيل المثال تعريف الذرة وتكوينها وإدراكنا لمحتواها يتغير من حقبة إلى أخرى باختلاف سبل وطرق إدراكنا لهذا المحتوى، أي أننا لا يمكن أن نطلق على هذا الباب كلمة "علم" باي حال من الأحوال، بل علينا أن ندرك أن الله عز وجل يسخر لنا من السبل ما يجعلنا ندرك بعض الحقائق في هذا الباب، والأمثلة على ذلك كثيرة مما قدمه علماء الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للتغير الكبير لإدراك البشر لكنه المادة في الكون من حولنا ولا نود الخوض في هذا الباب الكبير من أبواب المعرفة ولك ان بحث في ذلك عزيزي القارئ. كذلك يرتبط هذا الباب من العلم بخلق المخلوقات التي لا ندركها بحواسنا من ملائكة وجن وجنة ونار وخلق السماوات السبع وغيرها

من خلق الله الذي يتطلب إدراكه علم الغيب والشهادة معاً لتكتمل القدرة على الوصول إلى مرحلة العلم اليقيني فيه، وهو ما يفوق قدراتنا كبشر مهما علا مقامنا ومعرفتنا.

العلم بمقام الله

هذا العلم وإن لم يكن الله عز وجل خص به ذاته العلية فقط دون سواه، فقد علمه الله عز وجل لبعض عباده سواء ممن أختصهم كالأنبياء والرسل والأولياء، فعلمهم بعض العلم الذي كشف لهم دون سواهم من الخلق عن حقيقة مقام الله، لكن في ذات الوقت فقد منح هذا العلم لمن هم دون ذلك من خلق الله الاخرين من بني آدم. لعلك تود عزيزي القارئ أن تتوقف عن القراءة قبل أن تواصل وتتفكر في هذا العلم. هل أتتك لحظات فكرت فيها في مقام الله؟ هل عرفت بحق مقامه عز وجل؟ أجل هو خالقنا وخالق كل الكون من حولنا، نعرفه بأسمائه وصفاته ونعرفه في خلقه وقدرته، لكن هل نعرف مقامه الحقيقي؟ لا وعزته وجلاله، فلن يعرف مقامه إلا هو وحده عز وجل ولمن شاء له سبحانه وتعالى أن يناله حظ من هذا الباب من أبواب العلم، وسنتناول هذا الجانب من العلم لاحقاً. لكن يظل جانب كبير من العلم بمقام الله لا يعرفه إلا الله. مهما بلغت بنا حواس الإدراك نحن البشر فلن نحيط بحقيقة وجود الله عز وجل وقدرته ومقامه سبحانه وتعالى. وهذه حقيقة يجب علينا أن ندركه كعباد لله حتى نستطيع أن نفتح في ذواتنا باب كبير لمعرفة الله. فكل ما نعلمه أو بالأصح ندركه عن الله عز وجل سواء من صفات أو أسماء أو وصف أو من خلال التفكر في خلقه وقدرته، كله لا يساوي شيئاً أمام العلم الحقيقي بمقام الله وذاته ونفسه التي لا يدري عنها أحد من الخلق إلا هو سبحانه وتعالى. ولعل المتفكر في هذا الجانب سيجد أن هذا باب علم كبير للغاية يمتد من معارف وعلوم شاء الله عز وجل أن يمنحنا لها من خلال القرآن الكريم ومما أطلعنا عليه الرسول الكريم صلاة ربي وسلامه عليه، لكن يظل باب كبير من المعرفة والعلم أكثره خارج متناولنا نحن كبشر. ولعل عدد من الناس قد فتح الله عليهم ربما في هذا الباب ممن يطلق عليهم العارف او العارفين بالله، لكن لا يجب أن يطلق هذا المسمى من باب اليقين بأن أحدهم هو بالفعل هو عارف بالله، فهذا باب علم كبير يمن الله به على عباده الذين أتقوا والذين هم يسعون لنيل هذا العلم العظيم. وعلينا أن نسعى لتعلم جانب من هذا العلم الذي ذكر في القرآن الكريم في غير موضع، فهو علم راق ومسالكه شاسعة تمتد بامتداد قدرات النفس البشرية على التطلع للعلم ومسالكه في التعرف بالذات الإلهية. فيقول الله عز وجل في مثال على ذلك (ما لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً (5) سورة الكهف). اللهم أجعلنا ممن يعرفونك حق معرفتك.

لعل هذه الأبواب الثلاثة في مجالات العلم التي ذكرناها أعلاه، وما ترتبط به من علوم اخرى، هي أهم ما أختص الله به ذاته العلية كما بين لنا ذلك في القرآن، لكن هناك أبواب اخرى من العلم اختص الله بها ذاته العلية دون سواه من خلقه، مثل علم ما تنقص الارض من الناس، وعلم تنزل الشياطين، وعلم النجم الذي يهوى وغيرها من العلوم التي لا ندركها.

علم الساعة والاخرة

علم الساعة والاخرة من العلوم التي تنوعت مجالات ذكرها في القرآن، فمنها ما خص الله به ذاته عز وجل دون غيره ولم يعلم أحد من خلقه بما في ذلك أحب خلقه إليه بكل ما في الساعة والاخرة من علوم وعلى رأسها موعد قيام الساعة. لعلنا سنتناول هذا المجال من مجالات العلم لاحقاً بشيء من التفصيل ضمن أنواع العلوم المختلفة التي سنتطرق لها في هذا التحليل. وفي هذا الباب من العلم يقول عز من قال (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187) سورة الأعراف)، ويقول سبحانه وتعالى، (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34) سورة لقمان). فعلم موعد الساعة في قمة علم الله الذي لا يعلمه إلا هو، بالرغم من ذلك سنجد أننا كبشر -وفي مقدمتنا الرسل والأنبياء– قد منحنا الله بعض محاور العلوم في علم الساعة والآخرة كما سنناقش ذلك لاحقاً.

علم الرزق واسبابه

من المعلوم أن الله عز وجل قد خص ذاته العلية بمجالات لم يمنحها لغيره عز وجل، من هذه المجالات هو توزيع الرزق على عباده بكافة أنواعهم من بشر وطير وحيوان وحشرات وغيرهم وغيرهم. وهو أمر لا شك فيه.

الباب الثاني

أنواع العلوم التي أختص الله به ذاته وقد منحها او يمنح علمها لمن دونه بإذنه

العلم بمقام الله

كنا قد تناولنا هذا الجانب المهم من العلم سابقاً، وذكرنا أنه بالرغم من أن الله شاء بأن يطلع من هم دونه من خلقه على معرفة بعض العلم عن ذاته جل وتعالى، إلا أنه أختص بعض جوانب العلم بمقامه عز وجل لنفسه دون من هم سواه ودونه من خلقه. إلا أننا سنجد أن القرآن الكريم أطلعنا أن الله عز وجل جعل بعض عباده خاصةً من الأنبياء والرسل أن يطلعوا بإذنه على معرفة مقامه عز وجل والوصول إلى درجات من هذا العلم لم ولن يصل إليها غيرهم لما اصطفاهم به عز وجل من علم ولأسباب يعلمها الله عز وجل دون سواه من خلقه. وقد قال الله عز وجل في الآية: (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) سورة الروم)، وكذلك (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) سورة سبأ)، وقد صرح الله عز وجل في هاتين الآيتين بجهل أكثر الناس بمقام الله عز وجل وقدرته. كما خص النبي الكريم محمد بن عبد الله بهذا الشرف خاصةً دون غيره من الخلق، فقال الله عز وجل (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) سورة التكوير)، وقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال "إن أَتقَاكُم وَأَعلَمَكُم بِاللهِ أَنَا"، وورد أيضاً "أَنَا أَعلَمُكُم بِاللهِ" صدق الحبيب المصطفى عليه الصلاة والتسليم. لكن هناك من خلق الله من يعلم بمقام الله وقدره وقدرته عز وجل وهؤلاء ممن وفق الله عز وجل في الهداية إليه إلى معرفته ممن اصطفى من خلقه. اللهم أجعلنا ممن يعرفونك حق معرفتك.

علم اليقين بالله

هذا الباب من العلم لم يؤته الله عز وجل لكثير من خلق على أهميته، فهو باب من العلم يرتبط بالوصول إلى درجات راقية وعالية من الإيمان بالله وحكمته وقدرته، ويرتبط بيقين راسخ في القلب والفؤاد بأن الله هو مسير الكون وهو القادر على كل شيء وأن لله العلم المطلق في تدبير حال الإنسان وما حدث ويحدث وسيحدث. ولعل صعوبة الوصول إلى هذه الدرجة من العلم واليقين تتطلب أن يسعى الشخص المؤمن إلي يرتقي في عبوديته لله إلى درجة تمكنه من الوصول إلى مرحلة من العلم الروحاني الذي يمكنه من إدراك ما لا يدركه غيره عن مقام الله وقدرته التي تجعلك توقن في الله يقين لا يخالطه شك – هو أمر لا شك صعب ولا يناله إلا من له عزيمة ومن أسلم وجهه لله كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125) سورة النساء). تناول القرآن اليقين بالله في عدة محاور، منها ما نسبه الله لنفسه عز وجل، ومنها ما قدر الله تعالى أن يمنحه لبعض من خلقه. لكن في ذات الوقت سنجد أنه باب من العلم بمقدور البشر العاديين أن يسلكوا دروبه وأن يصلوا إليه كما سنذكر ذلك لاحقاً. ولعل من الأمثلة في القرآن ما قد يساعدنا في فهم هذا النوع من العلم هو ما ذكره الله عز وجل بلسان حال سيدنا يعقوب على السلام (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) سورة يوسف) – وغير ذلك من الآيات -وهذه مرحلة راقية من العلم أن تصبح للإنسان القدرة

على أن يعلم من الله وعنه عز وجل ما لا يعلمه غيره. والمتتبع لتفسير هذه الآية في سياقها سيدرك أن المقصود هنا ليس معرفة سيدنا يعقوب بهذا الأمر من باب الوحي، وإنما هو من باب اليقين بالله والثقة فيه وفي قدرته وحكمته من كل الأحداث والتفاصيل التي ذكرت في سورة يوسف حول شأن يعقوب مع أبنائه. هذا الباب من العلم هو باب مهم يجهل به الكثير من الناس، بالرغم من أنه باب مفتوح للكل لمن يريد أن يدخل فيه كما سنشير إلى ذلك لاحقاً.

علم الأسماء

من أشهر أبواب العلوم التي منحها الله بإذنه إلى أحد من خلقه هو علم الأسماء، والذي عرف به سيدنا آدم عليه السلام وهو مما هو معروف في قصة خلق سيدنا آدم حيث قال الله عز وجل (وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (31). وقد أكد الله عز وجل في هذه الآية أنه أختص سيدنا آدم بهذا العلم دون خلقه من الملائكة أو غيرهم في وقت خلق آدم عليه السلام. وربما يكون علم الأسماء قد عُلم لآدم عليه السلام اختصاصاً، إلا أنه كذلك علم مستمر باستمرار الحياة، فمن خلال هذا العلم استطاع الإنسان منذ خلقه الأول أن يتعامل مع بيئته وكل ما يستجد فيها من خلال مقدرته على إسقاط الأسماء بمعانيها ومفاهيمها، هو ما يعد أيضاً باب مهم في مكونات العلم والمعرفة والإدراك، بدونه تصبح لهذه المعرفة قيمة منقوصة. وقد وجه عدد من العارفين بهذا العلم إلى الاهتمام به في المراحل الأولية من دورة تعلم وتعليم الأطفال، بإدخال مفهوم علم الأسماء في المراحل الأولية للدراسة وتدريسه بطريقة تساعد الأطفال من تنمية قدراتهم الذهنية للارتباط بمحيطهم.

علم العالم المحيط بنا

هذا المجال من العلم ذكر أيضاً في قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام حين دار الحوار بين الله عز وجل في إخبار الملائكة بخلق سيدنا آدم، فقال الله سبحانه وتعالى، (وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (31) وهنا ردت الملائكة قائلين، (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) سورة البقرة). وفي رد الملائكة درس كبير لنا نحن البشر في أنه لا علم لنا إلا ما علمنا له ربنا عز وجل، خاصةً فيما يحيط بنا من أشياء وعن أسباب وحكمة خلقها وهو باب من العلم يختص الله به بعض عباده دون غيرهم. وقد تكون عزيزي القارئ قد تجد ذات الأمر في آيات سورة الكهف في قصة سيدنا موسى مع الرجل العالم – الذي يُظن بأنه نبي الله الخضر. وفي هذه القصة تجليات عظيمة في مفهوم العلم، فمن جهة سنجد أن القصة تدور حول نبي من أعظم الأنبياء في تاريخ البشرية هو كليم الله سيدنا موسى عليه السلام، والذي – كما تخبر القصة قد افتقر إلى جانب من جوانب العلم الذي منحه الله عز وجل للرجل العالم في القصة والذي قال عنه الله عز وجل في الآية، (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) سورة الكهف)، وهذا هو الجانب الثاني أن الله سبحانه وتعالى أثبت أن العلم الذي لدى هذا الرجل هو من عنده عز وجل (آتاه) أي خص به هذا الرجل دون غيره وإن كان ذلك نبي الله موسى عليه السلام. وعودة في هذه القصة إلى مجال العلم الذي بين أيدينا في علم العالم المحيط بنا، سنجد أن هذا الرجل العالم أوتي فهماً وإدراكاً لما يحدث من حوله وكيف يمكنه استخدام هذا العلم فيما ينفع الناس، ولعلك قد

تعود عزيزي القارئ للآيات حول هذه القصة في سورة الكهف لتقف أكثر على هذه المعاني وكيف أن علم هذه العالم من الاحاطة بما حوله مكنه أن ينفع الأشخاص الذين وردوا في سياق الآيات والقصة. ولعلك عزيزي القارئ قد تتمنى أن يمن الله عليك وتؤتى مثل هذا العلم العظيم الذي ينفع الناس، اللهم علمنا من لدنك علماً ننفع به غيرنا.

علم حقيقة الدنيا

لعل هذا العلم هو علم منسي لا يهتم به إلا القلة القليلة ممن فتح الله عليهم في هذه الحياة الدنيا، لكنه باب من أبواب العلم يجعل مسيرك إلى الله وإلى الحياة الاخرة كأنك في صاروخ منطلق أشد الانطلاق بإذن الله. فعلم حقيقة الدنيا يجعلك لا تلتهي بفتنتها، ويفتح الله عليك به باب الخير والرزق في الحياة الدنيا فيجعل الله به حال الدنيا بين يديك لا في قلبك. ولعل الكثيرين قد يعتبروا أن الرزق والغنى الذي يفتح الله به على بعض عباده ممن يوصفون على الأقل لدى عامة الناس بأنهم شيوخ أو أصحاب علوم الدين والقرآن، قد يعتقدون خطأً أن هذا الأمر منقصة لهؤلاء الناس وأن الغنى والرزق الواسع ما هو إلا فتنة وبالتالي أن هؤلاء سيكونون منشغلين بالدنيا عن الدين وعن الآخرة. لكن ما لا يعلمه الكثير من الناس أن علم حقيقة الدنيا هو باب من أبواب العلم يفتح الله به على من يمن عليه من عباده، فيجعل الله عز وجل هؤلاء يعلمون ويعرفون ما هي حقيقة الدنيا من حيث أنها لهو ولعب وفتنة، لكن في ذات الوقت يجري على عقولهم علم كيفية جعل الدنيا بين أيديهم وليس في قلوبهم فيسخرونها في منفعة العباد وفي الخير وفي طاعة الله. ولعل أشهر البشر ممن فتح الله عليهم بهذا الفتح هو سيدنا سليمان عليه السلام، فيقول الله عز وجل (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) سورة ص)، ولعل سيدنا سليمان لم يغتر بهذا الملك لكن استغل الطاقات والموارد التي منحها الله سبحانه وتعالى له في هذا الملك إلى أدوات لطاعة الله عز وجل وإلى تبليغ رسالته ومثله سيدنا داؤود. وعلى النقيض من ذلك تماماً هو قارون الذي فتح الله عليه برزق واسع في حياته إلى أنه استغل ذلك في البغي والفساد، إذ قال الله عز وجل في شأنه، (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) سورة القصص). وكأن علمك بحقيقة الدنيا هو علم يفصل بين وضعك في خانة المحسنين كما وصف الله عز وجل سيدنا سليمان في القرآن، أو في خانة المفسدين كما هو حال قارون، فعليك يا من فتح الله عليك من أبواب رزقه أن تسعى جاهداً في تعلم هذا العلم العظيم – أي علم ما هي حقيقة الدنيا، وهو علم يختص الله به الخاصة من خلقه دون سواهم، فأسأل الله أن تكون منهم.

علم الرسالة والنبوة

علم الرسالة والنبوة من أبواب العلم التي ذكرت في القرآن في عدة مواضع وتراوحت شأنها شأن أنواع اخرى من العلم من مجالات أختص الله بها ذاته عز وجل إلى مجالات اخرى في هذا العلم علمها لأنبيائه ورسله. فمن جهة يقول الله عز وجل (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ

شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124) سورة الأنعام)، وهنا يشير الله أنه وحده يعلم أين يجعل رسالته ويدخل في هذا العلم ما هو متعلق مثلاً باختيار الرسل وإلى من يرسلون. ويقول الله عز وجل في آيات اخرى (قال يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) سورة الأعراف). في هذه الآيات يقول الله عز وجل على لسان ما قال به سيدنا نوح (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) وهو من شأن الرسالة وبالتحديد في هذا الجانب ما يلي علم الساعة وعذاب الكافرين. وتتعدد الآيات التي تتناول علم الرسالة والنبوة في العديد من المواضع في القرآن الكريم. لكن لن يسعنا أن نتناول علم الرسالة والنبوة دون أن نتناول العلوم التي اتصلت بعلم الرسالة والنبوة مما خص به الله عز وجل أنبيائه ورسله وبعض خلقه من علوم. ولعنا نقوم بسرد ذلك على وجه التلخيص.

1. <u>علم القرآن والكتاب:</u> هو علم من أكثر العلوم التي ورد ذكرها في القرآن حيث ورد في 45 موضع وبمختلف المعاني التي امتدت من أمور يعلمها الله عز وجل وحده في هذا الباب، إلى أمور يعلمها الناس أو تم تعليمهم إياها عبر الرسل، بالإضافة إلى أن هناك جوانب من هذا العلم آتاها الله عز وجل لرسله وأنبياءه ممن فتح الله عليهم من باب العلم. فعلم القرآن -والكتاب بشكل عام – هو بلا شك باب عظيم من أبواب العلم لمن منح له، بل أعتبر الرسول الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هذا العلم من أعظم وأجل العلوم التي منحت للبشر في هذه الحياة الدنيا. ومن الآيات في هذا الجانب التي تشير إلى علم الكتاب في ذكر قصة سيدنا عيسى عليه السلام حيث يقول المولى عز وجل (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) سورة آل عمران) فتعليم الكتاب والانجيل في هذا المقام هو علم آتاه الله عز وجل لنبيه عيسى عليه السلام، وأتت في هذا المعنى آيات كثيرة في العلم المرتبط بالكتاب والقرآن الذي أختص الله به رسله. غير أن علم الكتاب لم يختص به الله عز وجل فقط رسله، أو البشر فقط، بل وكما جاء في قصة سيدنا سليمان عليه السلام في حواره مع أحد الجان، فيقول الله عز وجل (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) سورة النمل)، فقد يفتح الله عز وجل بعلمه في الكتاب والقرآن على الجن، فما بالك بعباده من الأنس الذين فضلهم الله عز وجل على عباده من الجن. عليك عزيزي القارئ أن تهتم بهذا العلم ففيه أبواب كبيرة من أبواب النصر والفتح الذي يفتح به الله عز وجل على عباده ممن اختص، لكن عليك أن تكون على قدر هذا التشريف وعليك أن تسعى في وجهتك إلى الله ليفتح عليك هذا الفتح الكبير.
2. <u>علم الحكمة:</u> قد يكون هذا العلم أحد أعظم العلوم التي يفتح الله بها على أحد من عباده سواء ممن اصطفى من رسوله أو غيرهم من عباده، وعليك عزيزي القارئ أن تسأل الله عز وجل أن يفتح عليك من هذا العلم العظيم. علم الحكمة بلا شك علم عظيم قال عنه الله عز وجل (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269) سورة البقرة)، وربطه الله عز وجل بالملك العظيم الذي يبحث عنه الكثير من الناس في هذه الحياة الدنيا، قال الله عز وجل (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) سورة

النساء). ومما لا شك فيه ان هذا العلم لن يؤتي لمن لا يستحق من البشر والناس، وسنتناول هذا الجزء حين نتناول هذا العلم فيما منحه الله لعباده من غير الأنبياء والرسل والأولياء. لكن فيما يلي علم الحكمة الذي منح للأنبياء سنجد أنه ارتبط دائماً في القرآن بأنبياء عظماء من أولي العزم من الرسل الذين خطوا وغيروا تاريخ الأرض مثل سيدنا أبراهيم، إسماعيل، داؤود، موسى، يعقوب، عيسى عليه السلام جميعاً، لكن أكثر من ذكرت معاني الحكمة في سياق ذكره في آيات القرآن الكريم هو بلا شك سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أتم الصلاة والسلام، وهو بلا شك أكثر البشر نصيباً من علم الحكمة، الأمر الذي لم ينله غيره من البشر وحتى الأنبياء. إلا أن اللافت في علم الحكمة كما قلنا هو ارتباطه كعلم بالمُلك والحُكم والعظمة في الأرض، وهذه الأمور تأتي بما يتماشى وطاعة الله، أي أن تمليك مفاتيح علم الحكمة لأنبياء الله الذين ذكرت الحكمة في سياق قصصهم في آيات القرآن الكريم أتت بما يؤكده إيمان هؤلاء الأنبياء بما تمثل من طاعة لله عز وجل ومعرفة مقامه وقدرته التي مكنتهم من أن ينالوا هذا الفتح من الله عز وجل. وندعوك عزيزي القارئ ألا تتجاهل هذا الجانب من العلوم الذي يجمع الجانبين الديني وكذلك الدنيوي معاً، وهو أمرٌ ليس بالهين.

3. <u>علوم أختص بها أنبياء بعينهم دون سواهم:</u> وهذه علوم ورد ذكرها في قصص الأنبياء في القرآن الكريم خصها بهم الله عز وجل كجزء من تأييده لهم ومن أسباب نصرهم في تحقيق أهداف الرسالة والنبوة. إلا أننا لا يمكن أن نتحقق كمال التحقيق – نسبة لقصور علمنا – من كون أن هذه العلوم اختص بها الله عز وجل فقط هؤلاء الأنبياء أم غيرهم كذلك من الأنبياء. فعلي سبيل المثال علم القضاء وعلم التسخير وعلم صناعة الملابس وهي من العلوم التي منحها الله عز وجل لسيدنا سليمان وسيدنا داؤود عليهما السلام، وذلك في قول الله سبحانه وتعالى وإن كان كل منهما قد أختص دون الآخر بجانب من هذه العلوم كما في الآيات الكريمة، (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) سورة الأنبياء). وفي قصة سيدنا عيسى سنجد أن الله سبحانه وتعالى علمه علوم مثل علم احياء الموتى، وعلم طبابة الاكمه والابرص، وعلم استخدام الطين، وذلك في قوله عز وجل (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110) سورة البقرة)، ولما كان خلق سيدنا عيسى عليه السلام هو أحد معجزات قدرة الله عز وجل ودليل قاطع على قدرته سبحانه وتعالى، فكان لابد أن تكون أبواب العلم التي أعطيت لسيدنا عيسى أن تكون على قدر من العظمة بحيث تكمل بيان حكمة الله في خلقه، ولعلنا نعود لنذكر بما ذكرناه من قبل عن علم الحكمة والذي ذكر أيضاً في هذا الآية وما يرتبط به من أسباب ترفع من شأن من يؤتيه الله علماً من هذا الباب. سيدنا يوسف من الرسل الذين قدم لنا القرآن الكريم تفصيل كبير في

أبواب العلم التي اختصه الله بها منها علم التنبؤ والتأويل، وكذلك علم تأويل الأحاديث والأحلام، وهي علوم ساعدت في رفع شأن سيدنا يوسف في الأرض مقاماً وذكراً.

4. علوم أختص بها سيدنا وحبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام دون سواه من الأنبياء والبشر:

لقد خص الله عز وجل حبيبه وحبيبنا سيدنا محمد عليه الصلوات والتسليم، خصه بما لم يخص به الكثير من أنبيائه من أبواب العلم التي جعلت منه أعلم البشر على الإطلاق وبدون شك ولا تشكيك. وقد ذكر القرآن الكريم أبواب العلم التي اختص بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسها علم حقيقة الدنيا. وبالرغم من أنه كان معروفاً عن الرسول الكريم صلاة ربي وسلامه عليه أنه لم يكن ذا غنى أو مال، إلا أنه من المعروف أن سيدنا جبريل الأمين بأمرٍ من الله عز وجل خيره بين أن يكون نبياً ملكاً أو أن يكون نبياً عبداً، فاختار النبي عليه السلام أن يكون نبياً عبداً، وهو ما يعكس تواضعه لله عز وجل وتواضعه بين الناس، لكن في ذات الوقت يعكس إدراكه صلوات ربي وسلامه عليه لحقيقة الدنيا وما ماهيتها. من العلوم التي خص بها النبي الكريم وأسهمت في تتويجه على قلوب ملايين البشر هو علم الدعوة إلى الله. فقد علمه الله عز وجل هذا الباب الكبير والمهم في الوصول إلى قلوب البشر فقال الله سبحانه وتعالى، (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) سورة النحل)، ومما يتصل بهذا الأمر ما روي عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال في جزء من أحد أحاديثه (أعطيت جوامع الكلم). ولعلك تتسأل عزيزي القارئ كيف يكون هذا من أبواب العلم؟ لكن قد يفوت عليك أنه في وقتنا الحالي هناك بابان كبيران في العلم والعلوم هما علم المنطق وعلم التواصل الفعال يتم تدريسهما في أعرق الجامعات، وهذين العلمين هما من أساسيات الدعوة إلى الله ودونهما تنتفي قدرة الشخص أن يكون داعية ناجح. لكن الله عز وجل من على رسوله الكريم في هذين البابين من أبواب العلم مما جعل دعوته إلى الإسلام تدخل إلى قلوب ملايين البشر حتى بعد وفاته عليه الصلاة والسلام. ولعلنا في هذا المقام نذكر علماً اخر اختص الله به سيدنا وحبيبنا محمد عليه الصلاة السلام الا وهو العلم بملكوت الله، وهذا علم لا يدركه في هذا الكون من خلق الله غيره صلي الله عليه، وقد أكده الله عز وجل في قوله، (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40) سورة المائدة). ولعل توكيد الله سبحانه وتعالى بقوله (ألم تعلم) فيه من التأكيد ما فيه وكأن علم الرسول الكريم هو علم يقيني لا يقبل شك، أي أن الله عز وجل يعلم أن الرسول الكريم يعلم ما هو ملك وملكوت الله. وهذا الأمر يتماشى مع ما نعرفه من قصة الإسراء والمعراج التي علم الرسول الكريم فيها ما علم من أمور قص بعضها علينا وأمسك عن بعضها، فهذا علم خص به وحده دون سواه من خلق الله. وقد يطول سرد ما قد خُص به رسولنا الكريم من أبواب العلوم دون غيره من الرسل أو البشر، لذا نكتفي بهذا القدر.

الباب الثالث
من العلوم التي منحها الله للإنسان منذ الازل ومازالت قائمة

علم الأسماء

كنا قد تناولنا هذا العلم من قبل وناقشنا كيف علمه الله لسيدنا آدم وأنه مازال من أهم العلوم التي يستعين بها بنو آدم في حياتهم اليومية وناقشنا في عجالة أهمية تأصيله كعلم أساسي في نظامنا التعليمي الحالي.

علم الساعة والاخرة

علم الساعة والاخرة علم وباب كبير من أنواع العلوم التي ظل الله عز وجل يعلمها للإنسان منذ أن خلق سيدنا آدم وظل في عمق ما أتت به الرسالات على اختلاف الرسل والكتب السماوية وعلى اختلاف مسمياتها ومحتواها. ظل التعريف والتعليم بعلم الساعة والاخرة محتوى اساسي في هذه الرسالات باعتباره علم لابد للبشرية ككل من معرفته أو على الاقل بعض الاجزاء الاساسية منه، والذي لا تستوي الحياة الدنيا والحكمة منها إلا بمعرفتها. فهو علم مستمر منذ الأزل وسيبقى إلى وقت قيام الساعة وبداية الحياة الاخرة. المثير في هذا العلم أن القرآن الكريم تناول فيه عدة جوانب بعضها خص الله بها ذاته العلية ولم يعلمه لأحد من خلقه بما في ذلك النبي الكريم، وبعضها بعث الله به الرسل وعلمه للخلق منذ بدايته وعلى مر العصور مما ورد في كتبه عز وجل وكذلك مما ورد على لسان رسله وأنبيائه، ثم هناك ما أشار إليه القرآن الناس يعرفونه الأن (والآن هذه مستمرة باستمرار الحياة الدنيا، أي أنه جزء من معرفة وعلم الإنسانية)، والبعض الاخر مما سنعلمه كبشر في وقت قيام الساعة وبداية الحياة الاخرة وليس قبل ذلك، وهو ما سنتعرف عليه لاحقاً بما يعرف بعلم اليقين، وهو قمة العلم الذي يمكن أن يبلغه بني البشر في هذا المجال من العلم. وقد قدم القرآن الكريم العديد من النماذج التي علم فيها الرسل اقوامهم الذين بعثوا فيهم بشأن الساعة وحالها والحياة الآخرة وما فيها من حال ثواب وعقاب جزاء لما قدم المرء في حياته الدنيا، لكن في ذات الوقت سنجد أن هذا العلم لم يصدق به كل البشر، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وظل هذا الحال من لدن نوح عليه السلام إلى بعث اخر الرسل محمد عليه الصلاة السلام. وقد قص علينا القرآن الكريم هذا المجال من مجالات العلم، فقال الله عز وجل في محكم تنزيله، (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130) ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) (131) سورة الأنعام)، وقال كذلك في سورة التغابن (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) سورة التغابن)، وفي هذه الآيات سنجد أن كلمة (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) تأتي بدلالة أن الله أوصل إلينا العلم في هذا المجال وهذا هو الغرض من الرسالات التي أرسلها. كل ذلك يدل على أننا كبشر قد مُلكنا من العلم حول الساعة والاخرة ما يلزم أن نعرفه في هذه الحياة الدنيا. بالإضافةً لما ورد في القرآن لنا نحن المسلمين، سنجد أن رسول الله

عليه الصلاة والسلام قدم لنا من العلم الذي أطلعه عليه الله عز وجل من شأن الساعة والحياة الاخرة، كل ذلك علنا نؤمن بالله عز وجل شوقاً إلى لقائه وأملاً في رضائه عنا وفي فوزنا بجنته.
اللهم أجعلنا ممن رضيت عنهم وبلغتهم لقائك ودخول جنتك.

الباب الرابع
من العلوم التي يمنحها الله عز وجل للإنسان باستمرار الحياة

لعل أنواع العلم في هذا الباب من العلوم هي في العادة ما اعتدنا وصفه تقليدياً ب "العلوم"، أي أن أغلب ما سنتطرق إليه في هذا الباب هو من أنواع العلوم الإنسانية المختلفة سواء الديني منها أو المادي الدنيوي، وخيرها هي علوم الدين كما أخبرنا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام "مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقهُ فِي الدينِ". ولعل الرصد والتحليل في القرآن الكريم يمكن أن يقودنا إلى أكثر من 86 نوع ومجال علمي تم ذكره في القرآن. وحين نطلق لفظ علم في هذا التحليل سنلاحظ أننا قد نطلق عليه علم في حين أنه ارتبط في العادة بأنه مجال من مجالات أحد العلوم وليس علماً قائماً بذاته، فمثلاً علم خلق الشمس قد يطلق عليه في العموم علم أو علوم الفضاء ولا تجري تسميته على هذا النحو في العادة، لكن ولارتباط كافة مجالات العلوم التي سنتطرق إليها في هذا التحليل بمفهوم أو عبارات العلم في القرآن الكريم أثرنا أن نعتبر كل مجال من هذه المجالات مجال علم منفصل. لا شك أن الله عز وجل لم يشر إلى أي من هذه المجالات ارتباطا بالعلم إلا إذا كانت بالفعل أحد أبواب العلوم الذي قد ندري قدره وأهميته أو قد لا نحيط بذلك. ولما كانت مجالات العلوم في هذا الباب من أبواب العلم واسعة جداً أثرنا أن نفرد له مساحة منفصل لنغوص بصورة أعمق في مختلف ضروبه. ولعلنا نبشر في هذا الإطار بعظم القرآن الكريم وما احتواه من صور الإعجاز العلمي التي تناولها الكثير من العلماء ومازالت هذه الصور تكون حاضرةً في كل وقت يتطور فيه العلم والمعارف، وذلك من قدرة الله وبأمره.

علم اليقين بالله

كنا قد مررنا على هذا المجال من مجالات العلم، وقلنا سابقاً أن الله عز وجل قد ينعم على عباده من الأنبياء والرسل والصالحين ببعض من هذا العلم لا يبلغه العامة من الناس، لكن في ذات الوقت سنجد أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم عامة الناس منه، بل أن الكثير من آيات القرآن أشارت إلى هذا العلم وأنه يمنح لمن يصير قلبه معلقاً بالله فاطر السماوات والأرض، بحيث يتعلق قلبه بخالقه للدرجة التي يوقن فيها بحكمة الله وقدرته. ولعلنا نذكر مرة بقصة سيدنا يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام، فقد قدمت لنا سورة يوسف أمثلة رائعة حول يقين سيدنا يعقوب الذي جعل قلبه معلقاً بيوسف طيلة فترة غيابه، بل لعلك عزيزي القارئ قد تتطلع على الآية الأخيرة من سورة يوسف لتتأمل بنفسك فيما قال سيدنا يوسف من باب اليقين في الله. وها هو سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام يضرب المثل في هذا الأمر حين يلاحقهم فرعون وجنده ويفزع بنو اسرائيل ويخافون وينسون أن الله معهم، إلا سيدنا موسى فيقول كلا إن معي الله (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) سورة الشعراء)، ولاحظوا أن سيدنا موسى لم يقل كلا إن الله معنا بل قال إن الله معي، ذلك أن الله عز وجل لا يكون إلا مع من تقين في الله وأنه عز وجل معه أينما كان وحيث صار فيه. وقد يكون لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الحظ الكبير من هذا الباب، فيحكي الله عز وجل عنه في قصة

الغار حين كان مع سيدنا أبوبكر رضي الله عنه، قال عز وجل (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) سورة التوبة)، وهذا بالتأكيد معنى جميل للغاية في باب اليقين في الله. أما ما يلي العامة من الناس، فما وجدنا خلال بحثنا في القرآن حول أبواب العلوم فيه اوضح من الآيات التي تدل على أهمية هذا العلم، ومن الذي يستطيع الاطلاع عليه والوصول إلى حقيقته.

وقد تود عزيزي القارئ أن تطلع معنا على هذه الآيات في قول الله تعالى:

- (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) سورة البقرة).
- (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162) سورة النساء).
- (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97) سورة المائدة).
- (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (85) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (86) سورة الزخرف).
- (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25) سورة لقمان).

هل تستطيع أن ترى عزيزي القارئ من خلال هذه الآيات كيف أن الله عز وجل قد ربط بين من يعلمون والذين هم راسخون في العلم وبين اليقين في حقيقة قدرة الله وحكمته التي لا شك فيها؟ اليقين أمر صعب وعلم صعب لا يقدر على امتلاكه الجميع الا من اجتهد، وهو مرحلة متقدمة جداً من الإيمان والإحسان، فأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك، هذه بالفعل مساحة لا يقدر على الوصول إليها الكثير من الناس، ثم عليك أن تتعدى هذه المرحلة ليصبح يقينك هو ما يسيرك في هذه الحياة، يقينك بالله دافع لك للعمل والتوكل في آن واحد، تعمل لترضي الله وتتوكل لأنه يسيرك بحكمة في أصلها هي خير لك فيما يصيبك من خير أو شر. يقينك هو سبب سعادتك الحقيقية، وهو سبب توفيقك و نجاحك. وعليك عزيزي المسلم أن تعرف كيف تصل إلى هذه المرتبة العالية من هذا العلم والتي قد تفوق ما يطلق عليه الان مرحلة الأستاذية في علوم الدنيا الفانية، بل لا مقارنة بينهما فذلك علم إلى أبدية في نعيم الله وهذا علم إلى زوال في علوم الدنيا الزائلة. وفقنا الله جميعاً إلى اليقين به وفيه بما يوصلنا إلى طاعته.

العلم بحقيقة الإيمان

لعل أجمل ما كتب في هذا الباب من أبواب العلم المهمة لكن المهملة في ذات الوقت هو ابن الجوزية في بيان حقيقة العلم وحقيقة الإيمان، وقد استلهمته الآية القرآنية، كما فعلت بنا تماما، في قول الله عز وجل، (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ) (56) سورة الروم)، وكذلك في الآية (رْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (11) المجادلة. لقد ربط الله عز وجل في هذه الآيات بين العلم والإيمان وهو مما لا شك فيه ربط منطقي في سياق معرفتنا بكنه الحياة وحقيقة العلم. ولعلنا نتفق مع ابن الجوزية في التحليل الذي قدمه حين قال إن اللبس الأكبر سيكون في كيفية الوصول إلى مقام عالي عند الله سبحانه وتعالى كما أخبر في الآية من سورة المجادلة التي أوردناها، ولعل التحدي القائم للكثير بل السواد الأعظم من الناس هو الوصول إلى حقيقة الإيمان. لعلنا إذا بحثنا في قرارة أنفسنا عما هو الإيمان وما مدى علمنا به وبما يتطلب من أسس وقناعات وأكثر من ذلك إلى ممارسات وأفعال، سنجد أن الكثير منا سيقفون حيارى أم هذا العلم العظيم. ولعلنا نورد ما قال به ابن الجوزية حول حقيقة الإيمان إذ قال " وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعا، والعمل به باطنا وظاهرا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان. وكماله في الحب في الله، والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده. والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله"-انتهى. هذا المفهوم في معنى وحقيقة الإيمان يقتضي بالضرورة أن يسعى المرء إلى تعلم كيف يصل إلى هذه المرحلة من المعرفة والمهارة والتطبيق. ولعل الأحاديث التي وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام حول الإيمان ومفاهيمه هي كثيرة للغاية وندعوك للاطلاع عليها لما فيها من الفائدة مما يساعدك على تحقيق الإيمان بجميع أبوابه. أدعوك عزيزي القارئ أن تهتم بهذا العلم وتوليه مساحة مهمة في خارطة تعلمك في هذه الحياة، لعلك تُرفع مع الذين يرفعهم الله درجات عنده كي نصبح في صفوة من اصطفاهم وجعلهم من أهله وخاصته، كما أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام فيما ورد عنه "تفقهوا قبل أن تسودوا" أي تجعلوا سادة. اللهم أرفع مقامنا .... آمين يا رب العالمين.

العلم بما امر الله

يقول الله عز وجل في محكم التنزيل (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (33) سورة الأعراف). ولعل القرآن الكثير يزخر بالكثير مما أمر الله به الله عز وجل عباده من طاعات وعبادات وما نهى عن إتيانه. ولعل هذه الآيات السابقة ربطت بشكل واضح بين وعي وفهم هذه الأوامر وبين من تم وصفهم بأنهم قوم يعلمون، ولعنا نعلم أن المعرفة بهذه الأوامر وتطبيقها تدخل بالفعل في مقام العلم الواجب بل والحتمي الذي يجب على كل مسلم تعلمه ومعرفته، ولا استقامة لحياة المؤمن الحق بدون هذه العلوم ومعرفة تفاصيلها وحِكمها وأحكامها وما تتطلب وما يحدث في حال قام الشخص بفعلها أو لم يفعلها. وأبواب هذه الأوامر الإلهية كثيرة فعل سبيل المثال ذكرت الآية علوم الحلال والحرام،

وكذلك علم تحريم الزنا والفواحش، علم الإيمان بالله. لكن في ذات الوقت هناك علوم اخرى ذكرها القرآن تدخل في باب أوامر الله حيث نادى الله عز وجل أهل الإيمان في القرآن 89 مرة قائلاً (يا أيها الذين امنوا)، وقال ابن مسعود: (إذا سمعت الله يقول: {يا أيها الذين آمنوا} فأعرها سمعك: فإنه خير تأمر به؛ أو شر ينهى عنه). وهذا باب من أبواب العلم عظيم للغاية وعليك بتعلمه أيها المؤمن، إن أردت أن تكون منهم عزيزي القارئ. ومثال من مجالات العلوم التي ارتبطت بعبارات العلم في القرآن الكريم مما يشير إلى أهميتها في مفهوم العلم سنجد: علم الوصية وحكمتها، علم توزيع الورثة، علم اسس وفوائد الصيام، علم مصارف الزكاة وحكمتها، علم فرض المهر، علم حكم الدية في القتل، علم توزيع الغنائم وعلم الحلال والحرام الذي سنتناوله لاحقاً، وغير ذلك من العلوم.

علم الرسالة والنبوة

كنا قد تحدثنا عن هذا الباب من العلم في مساحات سابقة وبينا أن من مجالات هذا العلم ما خص الله به ذاته العلية فلم يطلع عليه أحد، ومنها ما علمه أنبيائه ورسله ومنها ما علمناه وعرفناه من خلال القرآن الكريم فيما أخبرنا الله به أو ما حدث عنه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. ومما لا شك فيه عزيزي القارئ أن التصديق بعلم الرسالة والنبوة فيه ما فيه من أسباب الفلاح والنجاح ليس فقط في الاخرة ولكن في الدنيا كذلك، فيقول الله عز وجل في محكم التنزيل (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19). فالتصديق بالنبوة والوصول به إلى مصاف العلم اليقيني يجعل هناك فرق كبير بين الناس وإن كانوا مسلمين. اليقين في رسالة النبي الكريم علم يرتقي بصاحبه إلى درجة قد تصل بك إلى مصاف أولياء الله الذين لا خوف عليه ولا هم يحزنون، اللهم أجعلنا منهم. لكن في ذات نحن كمسلمين يتطلب ايماننا أن نؤمن بالرسل كافة الرسل وان، وهذا هو المهم، انا لا نفرق بين أحدٍ منهم كما جاء في خواتيم سورة البقرة (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) سورة البقرة)، علينا كمسلمين أنا راجع في أنفسنا مدى علاقتنا مع رسل الله وأنبيائه ومدى إيماننا بهم وبما بعثوا به وكيف ينعكس ذلك في حياتنا وما نقوله ونعتقد به في ديننا.

علم حقيقة الروح

قال رب العزة في كتابه الكريم (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (85) سورة الإسراء). لقد قام العديد من علمائنا الأجلاء في البحث عن الفرق بين الروح والنفس وأفاضوا جزاهم الله خيراً في هذا الأمر، وأوضح غير واحد منهم أن النفس في العادة ترتبط بالإنسان أو المخلوقات بشكل عام، وأن الروح دائماً ما ترتبط بالله عز وجل، على سبيل المثال ما ورد في الآية السابقة، وغيرها من الآيات. لكن ما لم يستطيع العديد من علماء المسلمين من فك شفرته هو السؤال الذي سئل في هذه الآية (ما هي الروح؟). هذا سؤال قائم منذ بعث النبي صلوات ربي وسلامه عليه حتى الأن. فبالرغم من أن الله عز وجل رد على السؤال في هذه الآية موضحاً أن الروح من أمره عز وجل، إلا أن أنه عز وجل أضاف قائلاً (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا). المطلع على ما جاء به القرآن خاصةً في خلق الإنسان الذي هو روح (أو قل نفس) وجسد،

فيقول الله عز وجل في الآية 53 من سورة فصلت (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)، فباب خلق الإنسان هو من العلوم التي تكشفت لأهل هذا الزمان بما ساهم فيه تطور التقنيات المختلفة التي ساعدت في الوصول إلى العديد من الاكتشافات العلمية التي جعلتنا ننظر في أنفسنا ونعلم ونتعلم، وهو ما لم يكن متوفراً لدى المسلمين في عهد نزول القرآن الكريم، وظل هذا اللغز في حال خلق الإنسان قائم حتى عهدنا الحالي، وما زلنا نتعلم.

لعل العلم بحقيقة الروح هو أيضاً من أبواب العلم التي سيأتي الوقت المناسب الذي يفتح الله به على عباده ليفهموا جزءً مما هي عليه هذه الروح وعلى حقيقتها مثلما فتح الله علينا لنعي ما في أجسادنا من الداخل وكيف خلقنا وكيف نعيش، وهذا مما قدمته لنا علوم الطب والأحياء. وعلم حقيقة الروح هو علم مهم للغاية، وإذا فتح الله علينا به فإن ذلك سينقل البشرية، خاصة المسلمين منهم نقلة عظيمة ليس فقط في سبيل معرفة الله وعظمته بل في باب علوم خلق الإنسان والطب والعلوم الروحانية، وهذا شبيه بما حدث عندما فتح الله علينا بمعرفة أفضل لأجسادنا وما ترافق مع ذلك من ثورة كبيرة في مجال العلوم الطبية التي ساهمت في شفاء الأمراض وتقليل معاناة الناس. لعلك عزيزي القارئ ممن لديهم الاهتمام بدراسة علم حقيقة الروح، وعليه فنحن ندعوك أن تواصل بحثك في هذا الجانب المهم من العلم، ولديك القرآن الكريم والسنة النبوية كعون، ولديك أيضاً إيمانك ويقينك بالله، ولديك حس المسلم القوي الذي يرغب في الحصول على فتح من الله بعلم من العلوم التي لم يمنحها الله إلا لمن يستحق، فعليك بالاجتهاد إن كنت ممن يهتمون بهذا الباب من أبواب العلم، وعليك بالمثابرة وخط الخطى الأولى لمن هم بعدك في هذا المجال من العلم، وعليك أن تسأل الله من عونه وتوفيقه، وعليك أن تتوكل على الله. اللهم وفق من حمل راية علم يبغي بها رضائك ونفع المسلمين.

علم التسخير

علم التسخير هو من العلوم المجهولة والمهملة بشكل عام. الله عز وجل خط قاعدة كونية ثابتة فيما يلي علاقة الإنسان بما حول من مخلوقاته فقل سبحانه وتعالى (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20) سورة لقمان)، وأكد ذلك مرة اخرى في الآية (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13) سورة الجاثية). وإذا مررنا على الآيات القرآنية التي ذكر فيها التسخير سنجد أن الله قد سخر لنا الليل والنهار، البحر لناكل منه ولنركب فيه، الجبال، الطير، البدن والانعام، كل هذا على وجه الخصوص، لكن وكما مررنا على الآيتين السابقتين، سنجد أن هذا التسخير مس كل ما في الارض وكل ما في السماء دون استثناء. لعل التطور الذي تشهده البشرية من حين إلى آخر، وما أصبح عليه حال البشر من تطور تقني مهد للناس تذليل الكثير من العقبات والمشاكل التي تواجه الناس بشكل يومي. هذا التذليل هو أساس التسخير ويدخل في بابه أيضاً مفهوم الاكتشافات والاختراعات العلمية، وهذا ما يجب أن نتذكره نحن كمسلمين ونواصي به بعضنا بعضاً. لكن في ذات الوقت لا يجب أن ننسى أننا كمسلمين بدأنا نميل إلى أن نتواكل على الغرب في الاكتشاف والمعرفة وأصبحوا أمهر منا في كشف خبايا العلوم وكيف يمكن أن يسخروا ما خلقه الله عز وجل لنا كبشر في خدمة الإنسانية، حتى أصبح هذا العلم الان في ارتباط كامل بالغرب واصبحت العلوم مذللة على أيديهم. بالرغم من

ذلك هناك رأي يقول أن اجتهاد غير المسلمين هو في الأصل يدخل أيضاً في مفهوم التسخير، أي أنهم مسخرون في خدمتنا، و أن ما يكتشفونه من اكتشافات ومعرفة تصب في النهاية في خدمة البشرية و المسلمين جزء من هذا الأمر، وبالتالي فهم ينفعوننا وإن لم يدروا. قد تتفق عزيزي القارئ مع هذا الرأي أو قد تجده غريباً أو مثيراً للسخرية، لكن يبقى جزءً من منطقه صحيحاً. المهم في هذا الأمر أن علم التسخير هو علم جدير بالاهتمام وجدير بنا ألا نهمله. وقد تتسأل كيف يمكن أن يكون هذا علم بالأساس؟ لكن تذكر عزيزي القارئ أننا الان نتناول مفهوم جديد للعلم، كما أننا نتطرق لمجالات من العلوم لم يتم النظر فيها بعمق على أنها شكل من أشكال العلم الذي يمكن أن نتعلمه، أو نحاول على الأقل فهمه ومن ثم تعلمه. لكن مما لا شك فيه أن التسخير هو علم منح للأنبياء والرسل وبعض الأولياء الصالحين، وهو مفهوم أساسي في خلق الإنسان بشكل عام، الذي كرمه الله على بقية مخلوقاته وسخر له السماوات والارض وما فيهن، فقط علينا أن نعي هذا الأمر في البدء ثم علينا الاجتهاد في كيفية جعل هذا التسخير باب من أبواب المعرفة الإنسانية التي نمنحها نحن المسلمين للعالم، هل تعتقد أن هذا مستحيل؟ إذا لم تعتقد بذلك وعلمت في قرارة نفسك أنه ليس بالمستحيل، فعليك إذا بالمبادرة.

علم الذكر

كيف نذكر الله، وكيف نمارس هذا الذكر وماذا نقول فيه، وكيف يمكن أن نكون الاقرب إلى الله من خلال الذكر؟ كل هذه الأسئلة لديها إجابات بكل تأكيد. بعض من هذه الإجابات هي ما يحدث الفرق بين الناس فيما بينهم البين في مدى قربهم من الله عز وجل، فالبعض منا يصل إلى درجة عالية ومنا من يتوسط به مدى ذكره ومنا من يكون في الدرجات ودنا ومنا من هو غافل. علم الذكر هو علم معرفة الإجابات حول ما ذكرناه من أسئلة هو علم إجباري على كل مسلم يسعى إلى الوصول إلى الله، فلا يترك الذكر إلا غافل معرض (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206) سورة الأعراف)، بل من أهم أهداف الشيطان هو أن يصدنا عن ذكر الله، (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91) سورة المائدة)، بل هي أحياناً علاقة في اتجاهين، فإن اخترت أنت بمحض إرادتك أن لا تذكر الله فستكون النتيجة كما ذكر الله عز وجل (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) سورة الزخرف). علم الذكر موجود حولنا في القرآن وفي أحاديث النبي الكريم وفي الأثر من أهل العلم، بل علم الذكر موجود في قلبك أيها المسلم، أي نعم فالوصول إلى الله عز وجل أقرب مما نظن، لا يحتاج إلى مرشد و لا إلى معلم، فهو طريق يبدأ منك ومن قلبك ونواياك وينتهي بك إلى رضوان الله عز وجل. يقول الله تعالى في محكم التنزيل (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38) سورة النور).

سنطلب منك الآن عزيزي القارئ أن تتوقف عن القراءة لمدة خمس دقائق وأن تسأل ذاتك بصدق، هل أحسست من قبل بما جاءت به هاتين الآيتين؟ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) سورة الأنفال) وكذلك (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) سورة الرعد). ذكر الله علم جميل، علم خلقه الله في هذه الحياة ليجعل منه مساحة للراحة النفسية التي يبحث عنها الكثير من غير المسلمين، خاصة الكفار والمشركين. لكن كما ذكرنا من قبل ليس كل الناس في درجة واحدة، وكلما ترقيت في تعلم علم الذكر كلما صرت من أهل العلم الذين هم إلى الله أقرب، وأهل الذكر وصفهم الله بصفة العلم فقال عنهم عز وجل (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) سورة النحل). ولعله من المعروف أن قراءة القرآن هي من باب الذكر، بل أن "الذكر" هو من أسماء القرآن الكريم. وبالتالي فإن أعلى درجات الذكر هو ذكر الله من خلال القرآن الكريم وذلك بقراءته والصلاة بما جاء فيه والتدبر في آياته، فهو أعلى درجات العلم الذي يوصلك إلى خشية الله والتي هي مرحلة عالية في علم معرفة مقام الله الذي تناولنه من قبل، فيقول عز وجل (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) سورة الزمر). وتكثر الآيات عزيزي القارئ في هذا الباب من العلم، حتى لنخشى أننا لم نعطه ما يكفي من الاهتمام ولعلنا نختم بهذا الآية الكريمة المعبرة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21) سورة الأحزاب).

علم القرآن والكتاب

يا له من علم! لن نقول، ولسنا بحاجة للقول أكثر من ذلك، بل ربما نذكر بما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". يكفي ما بين يديك عزيزي القارئ من مادة تقرأها، وهي جزء مما في باب علم القرآن والكتاب.

علم النوم

قد يعلم الكثير منا أن القرآن الكريم قد شبه النوم علي أنه شكل من أشكال الموت وذلك حين يقول الله تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42) سورة الزمر)، ومثل ذلك في الآية (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60) سورة الأنعام). كل هذا الأمر قد يكون عادياً في منظورنا كمسلمين بحيث يشبه الله النوم بالموت، أو أن يخبرنا عز وجل أننا حين ننوم فإننا ندخل في عداد الموت أو على الأقل نصل إلى مرحلة أقرب إلى الوفاة. لكن دعنا عزيزي القارئ نتأمل معاً هذه الآية الكريمة حين يقول الله عز وجل (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) سورة الروم). هذه الآية بلا شك تضع بين أيدينا مفهوماً واضحاً أن النوم هو في الأصل آية من آيات الله في خلقه وأن هذا الأمر لن يعيه كل الناس بل هو لمن يعقل.

من المؤكد أن هناك العديد من الدراسات التي أجريت في مجال النوم وهو بالتأكيد علم قائم بذاته الأن، وقد قام العديد من علماء المسلمين بالبحث في هذا الإطار لسبر أغوار هذا العلم من المنظور القرآني ومن خلال المبحث الديني حوله، ولك عزيزي القارئ أن تطلع على العديد والكثير من هذه الدراسات والأبحاث. إلا أننا قد نجد أن اتجاه الأبحاث مازالت حتى اليوم لم تتعمق في العلاقة بين

النوم والموت، وفي بحث أوجه التطابق بين الظاهرتين ولماذا شبه الله عز وجل النوم بالموت، وما هو الفرق بين الميت والنائم (عدا عن وجود الروح بالتأكيد). ولعل هذه المباحث قد لا تفضي بنا كبشر إلى المعرفة الكاملة بالموت، الذي يظل علمه الكامل وحقيقته عند الله عز وجل، لكن في ذات الوقت قد تساعدنا في كشف بعض الطلاسم التي لا نعرفها نحن كبشر عن هذا الأمر. ولعلنا يجب أن نؤكد أن مفتاح هذا الباب من أبواب العلم هو موجود فقط عندنا نحن كمسلمين لورود أساسه في القرآن وليقيننا كمسلمين أنه ما دام قد ذُكر في كتاب الله فهو حق وحقيقة لا شك فيها. ولعلك عزيزي الباحث قد تبدأ ببعض الاختبارات والابحاث في الحيوانات التي تنام لتفهم أكثر بعض الجوانب في هذا الجانب ثم تنتقل إلى بني البشر لتعمق معرفتك أكثر. أتمنى وأدعو الله أن يفتح عليك من أبواب علمه في هذا الأمر فيما ينفع العباد.

علم خلق النفس (مستقر ومستودع)

لعل محتوى الآية التي قال فيها الله عز وجل (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) سورة الأنعام)، لعل محتواها وتفسيره شكلا معاً إحدى مظاهر الاختلاف بين علماء الأمة الاسلامية في تفسير القرآن. ولعلنا لا نود في هذ المقام سرد كل المعاني والتفاسير التي قدمت في فهم علمائنا الأجلاء لمفهوم المستقر والمستودع، ولعل هذا الاختلاف الذي لم يحسم قد يكون مساحة لباب من أبواب العلوم لم يلج إلى أحد حتى الآن، ولعل هذا لن يكون استثناء بأي حال من الأحوال، فالكثير من سور ومعاني القرآن لم تعرف للكثير من المسلمين ولم يظهر تفسيرها إلا مع بروز العلم الحديث والتقنية التي ساعدت في تكشف هذه العلوم والتي ساهمت بدورها في تفسير معاني القرآن بصورة أوضح لنا بني البشر. ولعل الله قد يفتح على أحدهم في معرفة ما هي حكمة الله في هذه الآية وكيف سنساهم في فهمنا لحياتنا وحقيقتها. نسأل الله أن يوفق من يبادر في هذا الأمر.

علم التأويل

كنا قد أشرنا إلى هذا العلم كذلك في أنواع العلم التي يؤتيها الله عز وجل لأنبيائه ورسله، ولعل سورة القرآن الكثير قدمت الكثير من الآيات التي تشير إلى هذا النوع من العلم. وقد كان لسيدنا يوسف عليه السلام حظاً ونصيباً مقدراً من هذا العلم بنص القرآن. ولعل ما دعانا أن ندرج هذا الباب من أبواب العلم في جانب العلوم التي يمكن أن يكون لبعض عامة الناس نصيب منها هو ما أتى في سورة يوسف على لسان ملك مصر حين قال كما أتى في الآية الكريمة (قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) سورة يوسف)، وكذلك ما قال به الله عز وجل (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) سورة آل عمران) من المؤكد بمكان فالله عز وجل يكتب هذا العلم للخاصة من عبيده لمن يستحق الوصول إليه. وهذا العلم يحصل عليه المؤمن من خلال الاستعداد النفسي لهذا الأمر والذي لا يتحقق إلا من خلال وصول الشخص إلى مقدرة ومساحة إيمانية تمكنه من فهم ما وراء المحسوسات المادية إلى مرحلة من الإدراك الروحي خلف هذه الماديات. علم التأويل أساسه هو الإيمان القوي والمعرفة بالله التي تمكن صاحب هذا

العلم من تملك المعرفة اللازمة لتأويل ما يجري حولك من أشياء. وتأويل الأحاديث هو علم ليس بمحصور فيما يتعلق بتعبير الرؤى بل هو أعم من ذلك، فيشمل تفسير الأحداث وتوقع نتائجها والقدرة على التعامل معها والتخطيط لها، ومن يؤتى هذا الباب من البصيرة النافذة التي تمكنه من ربط الحاضر بالمستقبل لا بد أن يكون ممن نال رضى الله عز وجل. ولعل هناك الكثير من الجدل حول هل للبعض من الناس ممن يطلق عليهم أولياء الله، هل لهم القدرة على التأويل أم لا؟ وهل لديهم هذه القدرات أم لا؟ وقد لا يكون المقام هنا مناسباً للرد المفصل على هذا الأمر، إلا أننا يمكن أن قول بكل ثقة وبالمطلق الأعم، أن الله قد يمنح هذا العلم لمن يشاء من عباده وهو يعلم بقدرته وحكمته لمن يؤتي هذا الشرف.

علم حقيقة الدنيا

قد لا يسعنا عن علم حقيقة الدنيا كتاب من ألف صفحة كي نتحدث فيه عن كل ما يحيط ويتعلق بهذا العلم. أعلم عزيزي المسلم أن الله عز وجل جعل في علوم الدنيا والآخرة هذا الباب المهم من أبواب العلم. أنظر حولك، مئات الملايين من البشر من المسلمين وغيرهم، يسعون في هذه الدنيا كل يوم، يستيقظون من نومهم ليسعوا في الأرض يمنة ويسرى يسعون كي يحصلوا على أرزاقهم، يأكلون ويشربوا ويعيشون يومهم كيفما أتفق وجلهم غافل عن ذكر الله، بل أكثرهم لا يعرف الله، ثم يأتي ليلهم فمنهم من يقضيه لاعباً ومن من يقضيه متكاسلاً ثم ينامون، ليستيقظوا في غدوهم ليبدأ يوم مماثل. الكثير منهم غرته الحياة الدنيا فصار في هم التكاثر في المال والأولاد وفي تلبية شهوات نفوسهم. القليل والقليل من الناس هو ممن فتح الله عليه بمعرفة حقيقة هذا الدنيا. يقول رب العزة في محكم تنزيله (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63) وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (64) سورة العنكبوت)، لو كانوا يعلمون – هذه آيات بالغة في الحكمة والتصريف الإلهي في تصريف المعاني، إذ أخبر الله عز وجل في هذه الآيات أن من المسلمين - الذين هم يعرفون الله عز وجل ويؤمنون أنه هو الخالق وهو المقدر الرزاق – أن منهم من لا يعرف حقيقة الدنيا والتي هي في أصلها لعب ولهو ومتاع الغرور، فإذا كان هذا هو حال بعض المسلمين، فبكل تأكيد أن سواهم من غير المسلمين أدعى لأن يكونوا غير عارفين بهذا الأمر. الله عز وجل لم يأتي في القرآن الكريم بكلمة علم أو تصريفاتها من نحو يعلم وغيرها إلا وجعل ذلك في باب من أبواب العلم، ولعل هذا ما جعلنا نطلق مسمى العلم على المعرفة بحقيقة الدنيا. وعن أبا سعيد الخدري انه قال، في حديث في هذا الجانب، أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يحدث وهو جالس على المنبر فقال "إني مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ..." إلي اخر الحديث.

عزيزي القارئ، معرفة حقيقة الدنيا ومدى انعكاس ذلك في طريقة نظرتك للدنيا وتعاملك معها بشكل يومي هو أمر لا يعلمه إلا القلة القليلة من الناس ممن فتح الله عليهم بمعرفة الله وتقواه، من معرفة لماذا خلق الله في الإنسان، ومن معرفة لماذا خلق الله الدنيا للإنسان. علم حقيقة الدنيا هو باب من العلم يفتح لمن تعلمه السعادة في الدارين – أي الدنيا والآخرة، فعلم حقيقة الدنيا يجعلك تعيش في الدنيا بالطريقة الصحيحة للحياة في هذه الدنيا، يجعلك تعلم أنها زائلة، يجعلك تعلم أن متاعها ذاهب مهما كثر من مال وبنون ورزق، كله ذاهب. هذا الأمر ينعكس على دواخلك وهو ما

يجعلك غير آبه بما تملك في هذه الدنيا، يجعلك غير قانع بأن ما تملكه وإن كثر هو النهاية أو يستحق أن يكون هو النهاية، هذا العلم كما قلنا من قبل يساعدك أن تجعل الدنيا في يديك لا في قلبك. نحن لا نقول إن الإنسان لا ينبغي أن يسعى في طلب الرزق بكل أشكاله من مال وبنون وغيرهما وأن يستمتع بما في هذه الدنيا، فهذا جزء من حكمة الله في الخلق، لكن يبقى السؤال هو كيف ستفعل ذلك وأنت تبتغي قبل ذلك الحياة الاخرة بحيث ألا تغرك ولا تخدعك هذه الدنيا بزينتها.

من نواقص هذا العمم الذين بين أيديكم أنه لا يمكننا أن نتحدث بإسهاب عن كل باب من أبواب العلم، بل نسعى إلى السرد السريع في كل باب، لكن كما ابتدرنا الحديث عن هذا العلم، فنقول إن هذا الباب من العلم يطول الحديث عنه وتناوله وذلك لأهميته وكذلك لما فيه من تفاصيل حول كيفية الوصول إليه وتعلمه كعلم ومن ثم تطبيقه. اللهم أجعلنا ممن فتحت عليهم بهذا العلم وأن لا تجعل الدنيا اخر همنا ولا مبلغ علمنا، آمين.

علم قيام الليل

قال الله عز وجل في بدايات سورة الزمر (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9) سورة الزمر). لابد أن ربط قيام الليل بالذين يعلمون من المؤمنين هو أمر ذو إشارة ودلالة مهمة حول علم قيام الليل. الذين يعلمون أهمية قيام الليل بالصلاة والسجود والذكر يعلمون تماماً ما نتحدث عنه في هذا المقام. علم قيام الليل بالعبادة هو علم بلغ به سيدي وحبيبي محمد عليه الصلاة والسلام مرتبة عالية في عبادة الله عز وجل وفي التقرب منه ضمن كل ما كان يقوم به صلوات ربي وسلامه عليه، فيقول رب العزة في كتابه الكريم (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآَنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآَخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآَخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20) سورة المزمل). أما العالم بسر صلاة الليل وقيامه من عامة الناس هو بلا شك في شأن عظيم من معرفة الله ومخافته وحبه وطلب القرب منه، وفيه يقول الله عز وجل (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) سورة السجدة). علم قيام الليل هو مفتاح لكثير غيره من العلوم، وقد حدثنا البعض ممن عاصرنا، وكذلك فيما أدركنا من كتب في سيرة السلف عما يدركه القائم بصلاة الليل من خير في الدنيا وفتح لأبواب الرزق بل ويتعداه لأن يصبح من أصحاب الكثير من العلوم التي تناولنها بالبحث في هذا السرد الذي نقدمه، أي كما قلنا فإن علم صلاة الليل هو المفتاح للكثير من العلوم والخير، وهناك الكثير والكثير من الأحاديث التي وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام في فضل قيام الليل، نذكر منها علي سبيل المثل، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل». وفقنا الله وأياك عزيزي القارئ لكي نكون ممن يفتح الله عليهم من فضله في هذا الباب.

علم كيفية التعلم

كنا قد قلنا إن علم الإنسان هو علم الله في الأساس وبالمطلق، لكن قد يختص الله بعض البشر ببعض جوانب هذا العلم أو يمنحه للإنسان وقت ما يشاء سواء منذ بدء خلق الإنسان في الأزل حين خلق آدم عليه السلام، مروراً بنزول الوحي من لدنه عز وجل على أنبيائه ورسله، وبقية البشر إلى يوم القيام حين يعلمنا الله عز وجل من علمه في تلك الحياة الاخرة، أو قد يختص الله تعالي ذاته العلية بعلوم لا يؤتيها أحد من الخلق وإن علا في مقامه عند الله من الأنبياء والرسول والأولياء. هذا الأمر حدا بنا بالتفكر فيما قد نسميه "علم التعلم". قال تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) سورة العلق). قال الله عز وجل في سورة النحل (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78) سورة النحل)، هذه الآية أشارت إلى الآليات التي يتعلم من خلالها الإنسان إرسالاً واستقبالا، فالآية تحدثت أن الإنسان يخرج من بطن أمه وهو جاهل لما حوله من علوم قدرها له الله، لكن في ذات الوقت خلق الله لنا السمع والبصر والفؤاد لتعلم كل أنواع العلوم من حولنا. ومما لا شك فيه فإن نظريات التعليم منذ عهد البشر الأول، أي حتى قبل نزول القرآن، قد تكون بالفعل تعرفت على هذه الآليات المهمة في تلقي العلم والعلوم، بل أن الكثير من النظريات التعليمية الحديثة تبنى على أساس أن السمع والبصر هما الوسائل الرئيسة في عملية التعلم، مع تقديم السمع على البصر في هذه العملية، وهو ما قدمه القرآن الكريم، حيث ذكرت كلمة (السمع) ومشتقاتها وتصاريفها في القرآن الكريم 185 مرة بينما وردت فيه كلمة (البصر) ومشتقاتها وتصاريفها 148 مرة وحيثما وردت كلمة السمع في القرآن الكريم عنت دائماً سماع الكلام والأصوات وإدراك ما تنقله من معلومات، بينما لم تعن كلمة البصر رؤية الضوء والأجسام والصور بالعينين إلا في 88 حالة فقط، إذ إنها دلت في باقي المرات على التبصير العقلي والفكري بظواهر الكون والحياة أو بما يتلقاه المرء ويسمعه من آيات وأقوال. ويمكننا تلخيص القول بأن القرآن كله دعوات للتعلم من علم الله الواسع الذي تناولناه في تحليلنا هذا كله، ولضعف في قدراتنا لم ولن نستطيع أن نحيط بهذا العلم مهما علونا أو علا غيرنا، (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) سورة الكهف). ولعلنا لن نزيد على ذلك قولا.

ما نود الإشارة إليه في هذه السانحة هو أن نلفت الانتباه إلى أن الأبحاث المتعلقة بنظريات ووسائل التعليم ركزت كثيراً على دور السمع والبصر في تطوير عملية التعليم وتحسين دورة التعليم المرتبطة بمحتوى المادة التعليمية وكذلك بطرق التدريس المتبعة وكيفية جعلها أكثر فاعلية باستخدام حاستي السمع والبصر. لكن في خضم هذا الاتجاه تم إغفال الدور الأساسي الذي يلعبه الفؤاد في هذه العملية، وقد كثرت التأويلات حول الفؤاد المعني في القرآن وتعددت في تفسيرها، لكن لعل أقربها إلى المنطق الذي نتناوله في التعليم والتعلم هو مفهوم الفؤاد على أنه غشاء القلب (وليس أصل القلب) وهو المعني بالشعور والإحساس. على كل حال هذه مساحة كبيرة للغاية لمن يبتغي التطور في فهم آليات التعلم والتعليم، فهذه الآية من سورة النحل قد خطت بلا شك مبدأ أساسي في هذا المجال من مجالات العلوم. لكن سيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم البيان

قال الله عز وجل (الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) سورة الرحمن). وقيل في البيان هو القدرة على أن يبين عما في قلبه، وعلمه البيان أيضاً ما يستبين به عند المخاطبة، فهنا بيانان: البيان الأول من المتكلم، والبيان الثاني من المخاطب، البيان من المتكلم يعني: التعبير عما في قلبه، يكون باللسان نطقاً، ويكون بالبنان كتابةً، عندما يكون في قلبك شيء تريد أن تخبر به، تارةً تخبر به بالنطق، وتارةً بالكتابة، كلاهما داخل في قوله: (علمه البيان) أيضاً علمه البيان حول كيف يستبين الشيء، وذلك بالنسبة للمخاطب أن الإنسان يعلم ويعرف ما يقول صاحبه، ولو شاء الله تعالى لأسمع المخاطب الصوت دون أن يفهم المعنى. إذاً البيان سواءً من المتكلم أو من المخاطب كلاهما منةً من الله عز وجل. علم المخاطبة والخطابة، لمن يعلم عن هذا العلم، هو علم ضخم للغاية من العلوم الإنسانية التي بدأ الإنسان بالاهتمام بها ليس في عصرنا هذا وحسب، بل منذ قديم الزمان، وفي قصص القرآن الكثير مما يدل على تملك بعض ممن ذكروا في القرآن لمقومات هذا العلم. فعلى سبيل المثال، سنجد أن سيدنا موسى عليه السلام قد فطن إلى أهمية علم البيان، وأن أخاه هارون عليه السلام يفوقه علماً في هذا الجانب، كما وردت في الآيات (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) سورة الشعراء)، وفي مقام اخر يقوم سيدنا موسى بسؤال الله عز وجل أن يمن عليه من هذا الباب من العلم كما جاء في الآيات (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) سورة طه). وفي قصة عن سيدنا داوود عليه السلام، سنجد أن سيدنا داوود قد من الله عليه في هذا الباب من العلم فقال عن ذلك عز من قال (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20)، كما سنجد ذلك الرجل الذي تفوق على شريكه في هذا الباب من العلم، فقال الله عز وجل (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) سورة ص). كل ذلك يدل على أنه باب مهم من أبواب العلم، وهذا حبيبي وحبيبك المصطفى عليه يصف ذاته الشريفة الكريم فيقول (وأتيت جوامع الكلم)، حيث فتح الله عز وجل بعلم من أعظم العلوم التي علمها الله عز وجل لبني الإنسان، وقد ورد أيضاً عَن زَيدِ بنِ أَسلَمَ، قَالَ: سَمِعتُ ابنَ عُمَرَ، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ المَشرِقِ فَخَطَبَا، «إن مِنَ البَيَانِ لَسِحرًا»: فَقَالَ النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَمَ. اللهم إنا نسألك أن تفتح علينا وأن تمن علينا في هذا الباب يا رب العالمين.

علم الحكمة

هناك بعض الآيات القرآنية وردت في سياق هذا الجانب من العلم، فقال الله عز وجل (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) سورة البقرة).، وقال عز وجل (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) سورة البقرة)، وكذلك (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) سورة آل عمران)، وفي قوله عز وجل (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) سورة الجمعة). علم الحكمة، وكما ورد في الآيات السابقة، هو مما من الله به علينا نحن المؤمنون به وذلك بإرساله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولا، وهو قمة الحكمة وهرمها في كل الأزمان، وهو الذي نهل الحكمة وعلومها من رب العزة تقدس في علاه، فيؤكد الله عز وجل ذلك فيقول سبحانه (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) سورة النجم). ولعل أغلب كتب التفسير والمفسرين تناولت الحكمة بناء على هذا المفهوم في هذه الآيات وأن المقصود من الحكمة هي سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك على الأقل في الآيات أعلاه والتي ربطت بين القرآن والحكمة والتي هي بالضرورة مما أتى به النبي عليه الصلاة والسلام من علم علمه له الله عز وجل، غير ذلك الذي أنزل في القرآن. أما في شأن الأحاديث التي وردت عن علم الحكمة وشأنه، فهو ما ورد عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام "لاَ حَ سَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَق، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكمَةَ فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلمُهَا".

ومما قرأنا في تفسير معنى الحكمة في القرآن هو ما قال به ال الشيخ ابن باز رحمه الله، إذ قال " الحكمة كلمة مشتركة، تطلق على معان كثيرة، تطلق على النبوة، وعلى العلم والفقه في الدين، وعلى العقل، وعلى الورع، وعلى أشياء أخرى، وهي في الأصل كما قال الشوكاني رحمه الله: الأمر الذي يمنع عن السفه، هذه هي الحكمة. والمعنى: أن كل كلمة، وكل مقالة تردعك عن السفه، وتزجرك عن الباطل، فهي حكمة. وهكذا كل مقال واضح صريح، صحيح في نفسه، فهو حكمة، فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة، وهكذا السنة الصحيحة أولى بأن تسمى حكمة بعد كتاب الله وقد سماها الله حكمة في كتابه العظيم، كما في قوله جل وعلا: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) يعني السنة، وكما في قوله سبحانه: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) الآية، فالأدلة الواضحة تسمى حكمة، والكلام الواضح المصيب للحق يسمى حكمة". كذلك قال الشيخ عبد الجليل عيسى " الحكمة هي معرفة أسرار الأشياء، والعلم الصحيح، وهي علم أسرار الشريعة، ومعرفة أسرار الشرائع والمقدرة على تحرى الحق والصواب.". وقد قيل أيضاً أن المراد بها معرفة أسرار القرآن والإصابة في القول والعمل ووضع كل شيء في محله. ولك عزيزي القارئ أن تطلع على مئات التعريفات لمعاني الحكمة التي وردت في القرآن الكريم. لا شك أن هذا التفاوت الكبير في تعريف علم الحكمة الذي علمه الله لنبيه محمد، وأنبيائه من قبله، هو علم عظيم، ولما أن علم الحكمة قد ربط بعلم القرآن والكتاب فإن ذلك يجعل من علم الحكمة من

أعظم العلوم التي يمكن أن يتعلمها الإنسان على الإطلاق، لكن بكل تأكيد يسبق ذلك علمك بالله ومعرفته، ثم علمك بما نزل من كتاب، وإن كان ذلك لا يتعارض مع أن علم الحكمة هو بكل تأكيد مطلوب لتعلم هذه العلوم بعينها. فسبحانك يا الله، يا من تيسر لنا العلم بقدرتك لنعرفك، وما عرفناك حق قدرك تقدست وتعاليت. وفقنا الله وأياكم إلى نيل هذا الشرف العالي في تعلم مبلغ العلم في علوم الكتاب والقرآن والحكمة، وقد ورد في الأثر أن النبي عليه الصلاة السلام قد مدح صاحب الحكمة حين يقضي بها ويعلمها، جعلك الله من أهل الحكمة.

علم ضرب الامثال

قال عز من قال في محكم التنزيل (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43) سورة العنكبوت) وفي قوله عز وجل (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (58) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (59) سورة الروم). علم ضرب الأمثال هو مجال آخر من مجالات العلوم التي ذكرت في القرآن والتي جاء في ذكرها عدد من الآيات، وما هاتين الآيتين أعلاه إلا نموذج على هذا الجانب. القدرة على فهم الأمثال أولاً ثم القدرة على ضرب الأمثال ثانياً، وهو باب مهم من أبواب العلم، وعلى رأسها باب علم الحكمة الذي تحدثنا عنه سابقاً. ولذا نجد أن الله عز وجل في هذه الآيات المختارة قد وصف الذين لا يفقهون معاني الأمثال والحكمة من ضربها، وصفهم بأنهم لا يعلمون – أي لا يحملون من العلم ما يمكنهم من فهم المثل وما يرمي إليه. علم ضرب الأمثال هو مساحة كبيرة للغاية، والعارف والعالم بهذا الجانب هو بل شك شخص متمكن في العلم، سواء أن كان العلم الديني أو العلم الدنيوي من علوم الحياة، بل سنجد عدد من النظريات الحديقة في مهارات القيادة الفاعلة وبتحليل مهارات أعظم الشخصيات في تاريخ البشرية، سنجد أن القدرة على فهم الأمثال وضربها هو بالفعل من سمات القادة العظام. نسأل الله أن يمن الله عز وجل عليك عزيزي القارئ من هذا الباب من العلم.

علم تخفيق آثار الشيخوخة

هناك بعض الآيات القرآنية التي وردت في موضوع هذا الباب من العلم، فقال الله عز وجل (ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) 4 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70) سورة النحل)، وكذلك في قوله عز وجل (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) سورة التين). أما ما اكتشفه العلم في هذا المجال هو وجود مادة الميثالونيدز حين يخلط التين والزيتون معاً وهي المادة المسؤولة عن نضرة الجسم ليصبح دائماً في حالة من الشباب ويقوم المخ بإفرازها، ولا توجد في الطبيعة إلا بخلط سبعة مقادير من الزيتون مع مقدار واحد من التين، وهي نفس النسبة التي اتى فيها ذكر التين والزيتون في القرآن الكريم. أما مقترحنا للبحث العلمي في هذا المجال أن الآيات من سورة النحل التي ذكرناها أعلاه تدل على

وجود علاقة بين بعض أنواع عسل النحل وبين الشيخوخة بطريقة ما، وهو ما يدل أنها تستحق أن يبحث فيها وعنها. وسيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم اختلاف ألوان الناس والدواب والانعام

هناك بعض الآيات القرآنية وردت في هذا الباب، فقد قال الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) سورة فاطر). وخلصت العديد من الأبحاث إلى الماء يلعب دوراً كبيراً في اختلاف ألوان الجبال كما ذكرت الآيات. فالماء يلعب دوراً أساسياً في أكسدة بعض العناصر الكيميائية والمعادن الموجودة في الجبال والذي يسهم في تلون الجبال والأرض ببعض الألوان المميزة. قد يكون العلم قد بدأ بالفعل في ربط علاقة الماء وتبلوره في أشكال معينة في بعض بقاع الأرض مع العناصر الموجودة في الأرض وكيف يساهم ذلك في تفاوت ألوان المخلوقات من ناس ودواب وأنعام. لكن نعتقد أن هذه المساحة ما زالت متاحة للمزيد من الأبحاث. وسيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم خلق الأزواج

قال الله سبحانه وتعالي في محكم التنزيل (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36) سورة يس). (تنبيه: الجزء التالي منقول للفائدة) "تحدث القرآن عن ظاهرة مهمة وهي الأزواج في عالم المخلوقات، وهذه الزوجية في كل شيء دليل على وحدانية الله تعالى. هناك ظاهرة مهمة في عالم الخلق وهي الأزواج، فعندما دخل العلماء إلى قلب الذرة وجدوا السالب والموجب في كل أجزائها، فما من جسيم سالب إلا ويوجد جسيم يشبهه ولكنه موجب. حتى المادة التي نعرفها يقترح بعض العلماء وجود مادة مضادة لها، وعند التقاء المادة ومضادها فإنهما يحرران الطاقة ويفنيان بعضهما. وفي عالم النبات يتكرر هذا الأمر فدائماً نجد المؤنث ويقابله المذكر. وحتى في بعض النباتات التي ليس لها مذكر ومؤنث، نجد أن النبات نفسه يحوي أجزاء مذكرة وأخرى مؤنثة، أي أن عالم الأزواج يوجد داخل النبات نفسه. فقررت آيات القرآن حقيقة علمية مهمة وعظيمة، وهي أن النبات أزواج، والمراد بهذه الزوجية الذكورة والأنوثة، وعندما نزلت هذه الآيات لم يكن أحد من البشر أو العرب يعلم أن النبات أزواج سوى النخيل الذي كان يعرف العرب أن منه الذكر والأنثى" انتهى.

وحتى لا نطيل عليك عزيزي القارئ ننصحك بالبحث في تفسير الآية 36 من سورة يس لما فيها من معاني وشمولية عظيمة في مفهوم البحث العلمي في وقتنا الحاضر. ذكر الله عز في خاتمة هذه الآية (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ)، وأكثر التفاسير منطقية في هذا الجزء من الآية أن عدم العلم المقصود في هذه الآية يرتبط بشكل كبير بمدى المعرفة التي توصل إليه الإنسان في العصر المعين أي في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، أي أن ما كان غير معروف من علوم الدنيا في وقت نزول هذه الآيات وما تلاه للعامة من الناس، لا يقتضي بالضرورة أنه سيظل غير معلوماً بالمطلق، فنحن

نعرف من خلال تطور العلم أكثر مما كان يعرفه الصحابة والتابعين في وقتهم، وبالتأكيد من سيلوننا في الخلق سيعلمون أكثر منا وهكذا، وهذه سنة الله عز وجل في خلقه. لكن سيبقى السؤال الذي سيظل كل باحث في المجال العلمي يطرحه على نفسه، ما الذي ما زلنا لا نعرفه عن "علم خلق الأزواج" في وقتنا الحالي؟ فاستخدام فعل المضارع المستمر في الآية (يعلمون) إنما يدل على استمرارية محدودية المعرفة إلا أن يشاء الله، وبالتالي يتواصل فعل إلهام العلم من لدنه عز وجل في علم خلق الأزواج لمن يشاء من عباده، نسأل الله أن تكون منهم أيها الباحث. وسيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم كيفية إنتاج العسل

قال عز من قال (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) سورة النحل). ومما اكتشفه العلم في هذا الجانب (تنبيه: الجزء التالي منقول للفائدة) " وجد أن العسل بالفعل فيه شفاء وأنه متنوع في الوانه ومكوناته، وأن تنوعه متلازم مع أصناف الزهور التي يتناولها أو كل ذلك يتطابق مع دلالة النص القرآني، كما تبين أن النحل يسلك بالفعل سبل وطرق محددة في رحلة صنع العسل بحيث لا تخطي أي نحلة مسارها ولا تدخل خلية ليست خليتها، وبملاحظة جهل الناس في عصر التنزيل بتلك الحقائق فإن ذلك يبرز الإعجاز القرآني " انتهى. وقد تمت الاستفادة من هذه العلوم في الكثير من مجالات الطب وعلوم التغذية. وقد نقدم لك عزيزي القارئ بعض المقترحات للبحث العلمي: (تنبيه: الجزء التالي منقول للفائدة) "الفعل (أوحي) في هذه الآيات من معانيه الإلهام والتسخير, ومن معاني الوحي الإلقاء بالأمر أو بالخبر في خفاء وسرعة, والوحي من الله(تعالي) إلى نحل العسل قد يكون نوعا من الإلهام الفطري الغريزي الذي زرعه الله(تعالي) في جبلتها أو في الشفرة الوراثية الخاصة بنوعها, أو ألقاه في روعها بعلمه، وحكمته، وقدرته وكلا الأمرين يشي بشيء من الغرائز الفطرية لدي نحل العسل تعطيه قدرا من الذكاء، والوعي، والإدراك، والشعور، والإحساس الذي يمكنه من تمييز الأشياء، والأماكن، والاتجاهات، والأوقات, كما يمكنه من تنظيم, وترتيب، وضبط حياته الاجتماعية بعدد من القواعد الدقيقة التي وهبه الله (تعالي) إياها" انتهى. خلاصة هاتين الآيتين هو أن إنتاج العسل الذي هو أهم مخرج في حياة النحل التي خصها الله عز وجل بالوحي لكي تكون من المخلوقات التي يضرب بها المثل في عدة نواحي.

أما ما قد نقترحه للبحث أن يسعى أحد الباحثين في دراسة شاملة لنمط حياة النحل والتي هي إنتاجية بامتياز ويدرس كيف يمكن أن تستفيد المجتمعات الإنسانية من نمط حياة النحل. فقول الله عز وجل (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) هو دعوة للوقوف والتفكر والذي هو أساس البحث العلمي. العلوم المعروفة عن إنتاج العسل واختلافه واستخدامه هو خطوة في طريق التفكر، لكن نعتقد جازمين أنه مازالت هناك مساحات متاحة للبحث. وسيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم خلق الجان من مارج من نار

سننجد أن من الآيات القرآنية في هذا الموضوع أتت في قوله تعالى (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) 4 فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) سورة الرحمن)، وكذلك قوله (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27) سورة الحجر). لسنا من الباحثين في علوم الفيزياء والمادة لكن نورد بعض الحقائق لعلنا نحفز أحد المسلمين في البحث في هذا المجال:

- قيل في تفسير (من مارج من نار) أن الله عز وجل خلق الجان والذي قيل أنه ابليس - الذي هو أبا الجن – من مارج النار وهو لهبها الخالص من الدخان وهو طرف لهبها (وفقاً لمعنى الكلمة في لغة العرب). وقيل هو اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت.
- معروف أن النار هي مادة وحرارة النار الملتهبة تختلف من مركز انطلاق لهب النار وتتدرج حتى الوصول إلى طرف هذا اللهب والذي وصفه القرآن بكلمة مارج كما ذكرنا. أي أن هذا المكون من الطاقة ودرجة الحرارة هما ما يمكن أن يكون أصل خلق الجن. كما أن التراب أو الصلصال هو أصل خلق الإنسان، وهو بالضرورة ليس هو الإنسان، أي أن الإنسان ليس من تراب بالمعنى المادي الصريح في أنك إذا لمست الإنسان فستجد التراب أو الصلصال. والضوء شأنه شأن مارج اللهب هما مواد غير محسوسة، أي أنك لا تستطيع أن تمسك بهمها وتحددهما في نطاق، عكس الإنسان والكثير من المخلوقات الاخرة والتي هي مواد محسوسة.
- أنواع النار تختلف باختلاف المادة الأساسية لنشاءة النار، وباختلاف خليط الغازات في بيئة الاحتراق، هو ما قد ينتج مدى كبير من أنواع النار بمختلف الأوصاف، وقد يكون هناك بعض الطرق التي تنشأ بها النار لا زلنا بحاجة لتعلمها.
- الحرارة تزيد من سرعة حركة جزيئات المادة وكلما زادت السرعة إلى كبيرة تقل قدرة العين على التقاطها، كجزيئات الضوء مثلاً، وذلك باختلاف مصدر النار والطول الموجي الذي تنبعث فيه الجزيئات.
- أما في رؤية الجن فقال الله عز وجل (يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) سورة الأعراف)، فالجن مخلوقات غير مرئية مستورة عن عيوننا بعكسنا نحن الإنس فنحن مخلوقات مرئية تُبصَر، ونفهم هذا من الاشتقاق اللغوي ومن تصريح القرآن، فالجن يروننا ولا نراهم. لكن في ذات الوقت سنجد أن تحديد الله عز وجل في الآية القول ب (من حيث) يدل على عظمة الله في إدراكه لما نقول به نحن اليوم حول الطيف الموجي والترددات للرؤية البشرية، فنحن كبشر لنا مدى معين أو ترددات معينة للضوء نبصر فيها وما زاد أو قل عن هذا المدى (في كل الطيف الكهرومغناطيسي) لا نستطيع رؤيته وإن كان موجوداً، وهذه الآية تدل كذلك أن مدى رؤية ابليس والجن بشكل عام يختلف عن المدى البصري لنا نحن البشر. إذن هناك مساحة، على الأقل من الناحية النظرية بحيث أننا يمكن أن نرى الجن إذا أمكننا أن (نعلم) بفضل الله كيف نغير منظورنا الذي ننظر به (أي ما قال الله عز وجل عنه "من حيث").
- إذن ما هي مساحة الأسئلة التي يمكن أن نطرحها في ظل هذه الآية في ظل أننا موقنين أن الجن موجود لكن لا نراه؟
  1. هل الجن موجود لكي نثبت لك مشكك (على الأقل من ناحية نظرية علمية)؟

2. كيف يمكن أن نطور وسائل تقنية تمكننا من (1) رصد الجن (2) رؤيته؟

لكن سيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم خلق الإنسان

الكثير من الآيات قد وردت في هذا الباب من العلم، فقد قال الله عز وجل (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) سورة فصلت)، ثم في سورة الحج (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) سورة الحج)، وأيضاً (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18) سورة الحاقة)، وفي قوله عز وجل (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) سورة الطارق). لعلنا في هذا المقام السريع في سردنا عن علوم القرآن لن يكون لنا مساحة كافية لنتحدث عن كل ما وصل إليه العلم وتم اكتشافه فيما يلي خلق الإنسان والذي هو بالفعل آية من آيات الله في الكون. فالعلم، وخاصة في مجال الطب، أثبت الكثير والمثير مما أتى به القرآن الكريم. ولك عزيزي القارئ أن تطلع على كل هذه المجالات التي تناولت خلق الإنسان في القرآن الكريم.

علم خلق ما فوق البعوض

قال عز من قال (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) سورة البقرة). وبالرغم مما أثير كثيراً حول تفسير هذه الآية – وهو ما ندعوك عزيزي القارئ لمطالعته – إلا أن الشاهد العلمي يدل على أن الله عز وجل ربما يشير بالفعل إلى خلق من خلقه أصغر من البعوض ومرتبط به. وفي هذا الإطار قد نذهب في اتجاهين، الأول: أن البعوضة، شأنها شأن الكثير من الكائنات الحية مثل الإنسان وغيره، ترتبط بعلاقات معقدة مع الكائنات أصغر منها، وتعيش هذه الكائنات إما داخل معدة البعوضة منها ما هو من البكتريا وغيرها من الكائنات الدقيقة وقد يعيش البعض علي سطحها الخارجي. الثاني: أن أحد الاكتشافات الحديثة أكد أن هناك حشرة صغيرة جداً لا تُرى الا بالعين المجهرية تعيش فوق ظهر البعوضة، ولعل هذا أقرب لما جاءت به الآية الكريمة. وفي كل من هذين المعنيين سنجد إعجاز بين في هذا الكتاب العظيم، نفعنا الله به.

علم كيفية إحياء العظام

سنجد أن من الآيات القرآنية في هذا الموضوع قوله عز وجل (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) سورة يس). ومما قدم العلم في هذا المجال يمكن أن نورد التالي: (تنبيه: الجزء التالي منقول للفائدة) " جاءت بعض الأحاديث مخبرة عن عجب الذنب، فمنها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ». أوضح علم الأجنة الحديث أن عجب الذنب هو الشريط الأولي حيث إن هذا الشريط الأولي هو الذي يتكون إثر ظهوره الجنين بكافة طبقاته وخاصة الجهاز العصبي، ثم يندثر هذا الشريط ولا يبقى منه إلا أثر فيما يسمى عظم العصعصي (عجب الذنب). من خلال اكتشافات العلم الحديث أكتشف أن الإنسان يبدأ خلقه وتركيبه في اليوم الخامس عشر من عجب الذنب، ويعمل عجب الذنب على تكوين أجزاء جسم الإنسان ثم يرجع فيستقر في نهاية العمود الفقري في العصعص، وأظهرت التجارب أن عجب الذنب يبقى محافظاً على خواصه حتى لو تعرض للحرق أو الطحن أو الغلي، وتمكن العلماء من ملاحظة قدرة عجب الذنب على إعادة عملية التخليق إذا تعرض لبعض المؤثرات مشكلاً ما يشبه الجنين" انتهى.

وقد رأينا أن نقدم مقترحاً متواضعاً للمزيد من البحث العلمي في هذا المجال المهم، (تنبيه: الجزء التالي منقول للفائدة) "حيث ما تزال هناك فرضيات عديدة في البحوث الحالية حول عظم عجب الذنب سيكون من الضرورة سبرها منها: (1) هل يبلى شيء من عظمة العصعص؟ (2) هل تقاوم عظمة العصعص العوامل الفيزيائية بصورة تخالف باقي العظام؟ (3) هل هناك فرق في التركيب الحيوي على أي مستوى يميز هذه العظمة عن باقي العظام قد يكون صعوبة هذا البحث من ناحية الأخلاقيات الطبية إذ قد لا يكون إجراؤه مبرراً من الناحية الطبية. ولكن إذا ثبت شرعاً أن هيئة البعث المذكورة تنطبق على الحيوانات كما تنطبق على الإنسان فإنه يمكن إجراء الأبحاث على حيوانات التجارب" انتهى. وكما نقول دائماً سيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم نشأة النار

هناك عدد من الآيات القرآنية ذكرت في هذا الباب من العلم، فقال عز من قال (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17) سورة الرعد)، وقال أيضاً (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) سورة يس)، وفي سورة النور قال عز وجل (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) سورة النور). قد يكون تفسير الآيات في أغلب كتب التفسير يتماشى مع المفهوم الصريح لوقود النار في أغلب الأزمان هو حطب الشجر بعد جفافه،

حيث يوقده الناس للاستفادة من النار التي تنتج عن عملية احتراقه. إلا أن العلم الحديث لفت الانتباه إلى حقائق مهمة قد تكون غائبة في أغلب الفترات السابقة عقب نزول هذه الآيات هو ارتباط النار بالشجر الأخضر، فالله قال صراحة الشجر الأخضر ولم يقل عز وجل الحطب أو الشجر اليابس، وهو محور ما يعرف بعملية التمثيل الغذائي التي هي أساس خزن الطاقة الشمسية في الشجر، حيث أن هذه الطاقة تختزن في عود الشجر وجميع مكوناته ليتم تحريرها عند الاحتراق إلى شكل حرارة يستفاد منها. أي أنه لولا وجود المادة الخضراء في الشجر، الكلوروفيل، والتي تساهم بشكل كبير في تخزين الطاقة الشمسية لما أمكن للناس من الحصول على الطاقة من الشجر. أما الآية في سورة النور والتي تعتبر من أجمل آيات القرآن الكريم، فقد صورت وقدمت نور الله في وصف يصعب على أي عقل بشري تقديم هذا الوصف دعك من تحقيقه، لكن ولصلة هذه الآية بموضوع العلم الذي نتناوله في هذا الجانب، فلابد لنا من الوقوف قليلاً في هذا الباب من أبواب العلم. قد لا يكون لدينا أي تحليل لنقدمه لكن هذا الجزء من الآية حين يقول الله عز وجل (كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) هو بلا شك نور من أنوار الله يفتح به على من يشاء في تقصي هذا النوع من أنواع الإضاءة التي تقد بدون نار. وسيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم وهن بيت العنكبوت

من الآيات القرآنية التي ذكر فيها العنكبوت قوله تعالي (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43) سورة العنكبوت). ولقد كشف العلم في الآونة الاخيرة عدد من محاور الإعجاز في هذه الآيات: (1) وصف الله عز وجل للعنكبوت بالوصف المؤنث يتماشى فعلاً مع حقيقة أن أنثى العنكبوت هي من تقوم في العادة بصنع البيت ولا يشارك الذكر في ذلك إلا نادراً. (2) أن بعض إناث العنكبوت تقتل ذكرها بعد عملية التزاوج والتلقيح لأسباب عديدة من ضمنها المنافسة على الغذاء لكن في الغالب الأعم لكي تقوم بأكله للاستفادة من بروتيناته في عملية إنضاج البيض، وبذلك ينتفي مفهوم البيت الذي يجب أن يقوم بين الزوجين على الرحمة والمودة وهذه سنة الله في جميع خلقه. (3) بعد عملية فقس البيض ونسبة للعدد الكبير من البيوض التي تفقس، يجد الصغار أنفسهم في معركة على البقاء فيقومون بقتل بعضهم البعض لتقليل المنافسة في الحصول على الغذاء. وبهذا فقد أسهمت الآية في توصيف حال بيت العنكبوت قبل أن يعرف علماء الحشرات والأحياء هذه الحقائق العلمية. أي أن الآية تناولت البيت بمفهومه المعنوي لا المفهوم المادي الذي فسرت عليه الآية في السابق.

علم كيفية خلق السماوات والأرض

قال الله عز وجل في محكم آيات التنزيل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) سورة آل عمران). وبالفعل فإن خلق السماوات والأرض فيه ما فيه من آيات لأصحاب العقول ولم يفهمون العلم. وكما ذكرنا من قبل، وشأنه شأن خلق الإنسان، فإن هذا الباب من العلم ينضح بالكثير والكثير من أبواب العلوم التي يصعب علينا إدراجها في هذا المقام الضيق، وسيكون عليك عزيزي القارئ أن تطلع على هذه العلوم في مساحات اخرى وسنشجعك للقيام بذلك لما فيه من فائدة لك تساعدك في معرفة ربك عز وجل بصورة أكبر. سنحاول هنا تناول بعض الآيات وستناول كل آية في هذا الجانب مرتبطة مع ما قدمه العلم الحديث حولها بصورة مختصرة للغاية. قال الله عز وجل (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) سورة فصلت).

سنتناول لاحقاً بعض من الحقائق عن خلق الجبال، لكن فيما يلي خلق السماء ومما عرف من خلال علوم الفضاء أن السماء بالفعل كانت على شكل دخان في بداية الخلق وهو ما يعرف اليوم بالانفجار الكبير الذي نتجت عنه السماوات والكواكب والنجوم والكون إجمالاً. ففترة مرور السماء بمرحلة الدخان هي من ثوابت العلم الحالي بشكل لا لبس فيه. هناك بحث قد يكون مثار جدل لكنه في طور الاستفاضة في فرضيته أن الفضاء بما فيه من سماء وأجرام سماوية (الارض من ضمنها) تصدر موجات صوتية قد تدل أن لهذه المخلوقات أصوات تصدر بطريقة ما لا نستطيع نحن في هذه المرحلة من تطور العلم أن نتخيلها أو نضعها في سياق قد يكون مفهوم حتى لعلماء الفضاء. وهذا الأمر يتماشى مع الآية التي مررنا عليه (11) من سورة فصلت حين يخبر الله أنه قال للسماء والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، فردتا كما جاء في الآية بأن يأتيا طائعتين، وقد يكون هذا الحوار معنوياً في مفهومه ومعناه وقد يكون فعلياً من منطق الكلام المرتبط بالصوت، ولله العلم الكامل والإحاطة بهذا وحده عز وجل، وتقدس في علاه عن نقصنا في فهمنا. لكن هذه الآية كما قلنا تتماشى مما يعرف حالياً عن هذه الذبذبات الصوتية، التي قد تدل على وجود مفهوم للكلام بشكل أو اخر. وقال رب العز في محكم تنزيله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41) سورة الرعد). (تنبيه: الجزء التالي منقول للفائدة) "تفيد الدراسات أن أرضنا مرت بمراحل متعددة من التشكيل منذ انفصال مادتها عن سحابة الدخان الكوني التي نتجت عن عملية الانفجار العظيم إما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عبر سديم الدخان الذي تولدت عنه مجموعتنا الشمسية، وبذلك خلقت الأرض الابتدائية التي لم تكن سوى كومة ضخمة من الرماد، ومكونة من عدد من العناصر الخفيفة، ثم ما لبثت تلك الكومة الابتدائية أن رجمت بوابل من النيازك الحديدية، والحديدية الصخرية، والصخرية، وبحكم كثافتها العالية نسبياً اندفعت النيازك الحديدية إلى مركز تلك الكومة الابتدائية حيث استقرت، مولدة حرارة عالية أدت إلى صهر كومة الرماد التي شكلت الأرض الابتدائية وإلى تمايزها إلى سبع أرضين، وبالمناسبة فإن من حكمة الله البالغة أن كمية الشهب والنيازك التي تصل الأرض يومياً تلعب دوراً هاماً في ضبط العلاقة بين كتلتي الأرض والشمس إذا زادت كمية المادة المنفلتة من عقال جاذبية الأرض. إن حجم الأرض الابتدائية كان على الأقل يصل إلى مائة ضعف حجم الأرض الحالية، وأن هذا

الكوكب قد أخذ منذ اللحظة الأولى لخلقه في الانكماش على ذاته من كافة أطرافه، وكان انكماش الأرض على ذاتها سنة كونية لازمة للمحافظة على العلاقة النسبية بين كتلتي الأرض والشمس، هذه العلاقة التي تضبط بعد الأرض عن الشمس، ذلك البعد الذي يحكم كمية الطاقة الواصلة إلينا. من الثابت علمياً أن الشمس تفقد من كتلتها في كل ثانية نحو خمسة ملايين من الأطنان على هيئة طاقة ناتجة من تحول غاز الهيدروجين بالاندماج النووي إلى غاز الهليوم، وللمحافظة على المسافة الفاصلة بين الأرض والشمس لابد وأن تفقد الأرض من كتلتها وزناً متناسباً تماماً مع ما تفقده الشمس من كتلتها، ويخرج ذلك عن طريق كل من فوهات البراكين وصدوع الأرض على هيئة غازات وأبخرة وهباءات متناهية الضآلة من المواد الصلبة التي يعود بعضها إلى الأرض، ويتمكن البعض الآخر من الإفلات من جاذبية الأرض والانطلاق إلى صفحة السماء الدنيا، وبذلك الفقدان المستمر من كتلة الأرض فإنها تنكمش على ذاتها، وتنقص من كافة أطرافها، وتحتفظ بالمسافة الفاصلة بينها وبين الشمس. ولولا ذلك الإحكام العظيم من الخالق العظيم لانطلقت الأرض من عقال جاذبية الشمس لتضيع في صفحة الكون وتهلك ويهلك كل من عليها، أو لانجذبت إلى قلب الشمس حيث الحرارة في حدود 15 مليون درجة مئوية فتنصهر وينصهر كل ما بها ومن عليها" انتهى. ونوصيك عزيزي القارئ بالاطلاع على مقالين متوافرين على شبكة الانترنت للدكتور زغلول النجار والأستاذ قسطاس إبراهيم النعيمي حول هذا المجال.

وفي بعد اخر من ابعاد هذا العلم قال الله عز وجل (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) سورة الرعد). مد الأرض وبسطها يقتضي تكويرها ذلك أن أي شكل هندسي آخر كالمثلث والمربع يحتم وجود انحناء في حال التنقل من مكان إلى أخر على طول الخط الافقي، وهو يتماشى مع منطق نقطة الانفجار الكبير التي يقول العلماء أنها سبب وجود الكون، فمفهوم المد والذي يمكن ان يحدث لأي نقطة – إذا فكرنا في الأرض على أساس انها نقطة في بداية خلقها والله أعلم – فمد النقطة ينتج عنه فقط شكل كروي إذا مدت النقطة من كل أطرافها، أما إذا أهمل أي طرف من هذه الأطراف فقد ينتج شكل أخر غير الكروي، لكن الله عز وجل حين يجمل مد الأرض دون استثناء ففي هذا دلالة لغوية واضحة أي من كل اتجاه، والله أعلم.

ويقول الله عز وجل (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) سورة النمل). (تنبيه: الجزء التالي منقول للفائدة)، "قيل في مفهوم قرار الأرض من المنظور العلمي: (1) أنها مستقرة وأننا منجذبون إليها، ولولا هذا الجذب لخرجنا منها، ولا يعرف هذا إلا رواد الفضاء، حينما يصلون إلى منطقة اسمها انعدام الجاذبية، لا شيء يستقر في مكانه، حتى الأدوات في المركبة الفضائية، يضعون الأداة هنا، تطير إلى السقف، لأن هذه المنطقة فيما بين الأرض والقمر تنعدم فيها الجاذبية، فالأشياء لا تستقر، هو نفسه يتمنى أن يجلس، فيرى نفسه في سقف المركبة، أن تقف على الأرض وتبقى عليها واقفاً، هذه نعمة لا يعرفها إلا رواد الفضاء، لأنهم فقدوها في هذه المنطقة. (2) هذا التجاذب، جعلك تستقر عليها، وجعل الأشياء تستقر عليها، وجعل الجبال تستقر عليها، وجعل البحار تبقى على سطحها، وجعل الهواء ملتصقاً بها" انتهى.

علم الليل والنهار

لن نستطيع أن نبدأ الحديث وأن نبلغ في القول عن هذا الباب من العلم بأكثر مما أخبر عنه الله عز وجل في كتابه الكريم إذ قال (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) سورة البقرة). سنحاول في عجالة تناول بعض الآيات وستناول كل آية في هذا الجانب مرتبطة مع ما قدمه العلم الحديث حولها بصورة مختصرة للغاية. فقد قال رب العزة (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40) سورة يس)، وقال سبحانه وتعالى (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5) سورة الزمر)، وكذلك في قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6) سورة الحديد).

لعل من أكثر من أحسن الحديث عن إعجاز القرآن الكريم في وصف الليل والنهار هو الدكتور على منصور الكيالي، ولك عزيزي القارئ أن تبحث عن محاضراته المصورة في هذا الموضوع بالذات لتستمتع بتناول الموضوع بصورة شيقة. ولعل ما يثير في حديث الكيالي أن تناول الموضوع من ناحية فيزيائية بحتة بعيداً عن التفسيرات اللفظية والتي يعتمد عليها في العادة علماء تفسير القرآن، وهذا جانب علمي مهم يساعدنا في فهم القرآن من منظور العلم الذي نعرف اليوم. وقد أطلق الدكتور الكيالي مسمى "فيزياء الليل" على جوانب من العلوم التي قدمها، حيث تحدث، وغيره كذلك من العلماء، أن الأصل في خلق الليل والنهار هو الليل، أي أن الكون والأرض وكل مخلوقات الله في الفضاء إنما هي تسبح أساساً في الظلمة أي في الليل، ومن ثم يأتي النهار نتيجة لتحرك الشمس – على سبيل المثال وقد يكون غيرها – لتحدث ضوءً في الفضاء المعين فيكون النهار، ثم تتحرك الشمس أو مصدر الضوء فيغلب الليل مرة أخرى، وهكذا باستمرار تكون الحركة بين الليل والنهار فيولج كل في الاخر كما جاء في الآية (6) من سورة الحديد. لكن في ذات الوقت وجد أن حركة الولوج هذه إنما هي في الأساس محكومة بحقيقة أن الأصل هو الليل، لذا وصفت الآية (37) من سورة يس الأمر بأن النهار ينسلخ من الليل، فحين تقول انسلخ الجلد من البدن فهذا يعني أن البدن هو الأساس وأن الجلد إنما هو الذي تحرك وانفصل عن البدن، بل تأتي البلاغة والتوصيف الدقيقين للغاية في الآية (5) من سورة الزمر، حين يتحدث الله عن هذه الظاهرة ويصف الفعل الذي يحدث بأنه تكوير لليل على النهار وتكوير للنهار على الليل، حيث وجدت الدراسات الحديثة أن الأمر برمته هو طبقات من ظلمة ونور فوق بعضه البعض على شكل موجات لها شكل محدب تتكور فوق بعضها البعض فيتشابك ضوء النهار الذي هو ضوء الشمس في حالة الكرة الأرضية وينتج عنها درجات النهار المختلفة التي تبدء مع أول شعاع للشمس على فضاء الأرض فيكون هذا الضوء قليلاً وخافتاً، ثم يزداد هذا الضوء حتى بلوغ الذروة في منتصف النهار، ثم يبدأ النهار - أو أشعة الشمس – في الانسلاخ تدريجياً من طبقات الفضاء مخلفة الظلام خلفها، وها هو وصف سورة البقرة إذ يقول رب العزة (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) 187 سورة البقرة)، فيستخدم الله كلمة الخيط وهي وصف

دقيق للشعاع. يا الله يا الله – سبحانك يا خالق السماء والأرض يا من قدرت الليل والنهار بحكمتك، وعزتك ما عبدناك حق عبادتك – فاعف عنا.

وفي مجموعة اخرى من الآيات تحدث الله عز وجل قائلاً (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86) النمل)، وقال وقوله الحق (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11) سورة النبأ). حين يتحدث الله عز وجل عن حال الإنسان مع الليل والنهار فهو يبين بلا شك الحكمة من خلق الليل والنهار، وفي الآيتين السابقتين ومما هو واضح أن الليل إنما قدر لكي يسكن فيه الناس وجعل منه الله وقتاً أو زمناً للراحة، بينما النهار هو مبصراً وجعل الله عز وجل فيه معاشنا وقدر فيه أرزاقنا. وهناك العديد من الدراسات التي وجدت أنه لو لم يوجد ليل على هذه الأرض لمات الناس لما لتأثير للشمس على أجساد البشر على الهرمونات والفيتامينات التي تؤثر على حركة الأجسام وتمكن الناس من مزاولة نشاطهم وحركتهم، وفي الليل يستريح الجسد من الحركة المفرطة التي تحدث له في النهار، ويعاد ترميم هذا الجسد وبناء ما تكسر فيه من بنية جسدية ومن هدر للطاقة وكذلك يتم الاستعداد لليوم التالي هكذا، أم في حال غياب النهار واستمرار الليل، فلذلك تأثير لا يقل ضرراً من غياب الليل، فالنهار وأشعة الشمس هي ضرورة لاستمرار الحياة على الأرض وليس فقط على الإنسان، فالشمس تكاد تكون هي مصدر الطاقة التي تسير – بإذن من الله – كل الأرض وما فيها من مخلوقات، فتبدأ دورة حياة الأرض من طاقة الشمس وتنتقل منها هذه الطاقة في دورة متكاملة تنتقل من مخلوق إلى اخر وفي عدة أشكال وهكذا تستمر الحياة. فاستمرار الحياة مرهون بلا شك بوجود الليل والنهار معاً، وبدون أحدهما لا تستقيم الحياة، فهو أمر محكم وفي توزان قدره الله بعلمه ومعرفته. ولك عزيزي القارئ أن تستفيض في هذا الباب من العلم وتكسب نفسك من المعارف ما يعينك على معرفتك أكثر بالله وحكمته.

لن نحسن القول هنا أيضاً ورب العزة يصف الأمر فيقول (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) سورة القصص). ثم يأتي مجال اخر تحدث عنه القرآن الكريم، ثم جاء العلم فأكتشفه وتحدث عنه لاحقاً، الا وهو وجود الاختلافات الكثيرة بين الليل والنهار على سطح الأرض فيقول الله عز وجل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) سورة آل عمران). هذا الاختلاف بين المناطق التي يعمها الليل وتلك التي يعمها النهار اكده العلم متمثلاً في اختلاف درجات الحرارة، اختلاف في كمية الأشعة الكونية الساقطة على كل منها، اختلاف في تأثير القمر (المد والجزر)، اختلاف في أساليب الحياة للكائنات الحية والنباتات، وغير ذلك اختلافات أخرى لا تُحصى. ولولا هذا الاختلاف لم تستمر الحياة على الأرض، فالنباتات لا يمكن أن تنمو إلا بتعاقب الليل والنهار، وبالتالي لولا اختلاف الليل والنهار لزالت الحياة من على الأرض، وهذا الاختلاف نعمة من نعم الخالق تبارك وتعالى، لأنه يضمن استمرار الحياة. ويطول الحديث عزيزي القارئ في هذا الباب من العلم الذي لا يزيدنا الا يقيناً في ربنا عز وجل، حمداً وشكراً أن عرفنا به وعلى قدرته في خلقه، فقل الحمد لله عزيزي القارئ على هذه النعمة من العلم.

وقد رأينا أن نقدم ربما مقترحاً للبحث العلمي في علوم خلق السماوات والأرض وعلم الليل والنهار: كما لم نستطع أن ندرج كل مجالات العلم التي وردت في القرآن الكريم حول خلق السماوات والأرض وحول علم الليل والنهار، فسنجد أنفسنا كذلك عاجزين عن طرح مقترحات للبحث في هذا المجال لعدة أسباب منها قلة علمنا من ناحية فكرية حول مجالات الجيولوجيا والفضاء وغيرهما من العلوم المرتبطة بخلق السماء والأرض، والسبب الثاني هو كثرة الآيات في القرآن التي تناولت هذا الموضوع. سيبقى عليك عزيزي القارئ إن كنت من أصحاب التخصص في علوم الجيولوجيا أو علوم الفضاء وكذلك الفيزياء وغيرها من العلوم المشابهة التي قد تمكنك من كشف مساحات علمية جديدة لترفد بها المعرفة البشرية حول خلق السماوات والأرض، سيكون عليك حينها أن تشد من همتك وأن تعقد العزم مستعيناً بالله وسائلا له الدعم والعون من لدنه لكشف أبواب هذه العلوم لتكون من المسلمين الذين يقدمون للبشرية من العلوم التي منحنا إيها الله عز وجل في كتابه الكريم. ونذكر أنه سيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً. يقول الله عز وجل (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) سورة النحل)، ولابد أن هذا التسخير من الله عز وجل لليل والنهار والذي هو أيضاً مقروناً بتسخير الشمس والقمر والنجوم هو باب واسع من العلم، بل قد يكون من أوسع أبواب العلم على الأطلاق في هذه الدنيا بعد باب علوم القرآن الكريم وخلق الإنسان. لا ندري ما الذي نوصيك بالبحث عنه وفيه، فكل علماء الأرض بمختلف مسمياتهم ودرجاتهم يعرفون أن علوم خلق الأرض والسماء والليل والنهار والشمس والقمر وعلوم الفلك بشكل عام هي مستقبل العلم للإنسانية. نكاد نجزم أن المسلمين إذا اعطوا هذه العلوم الاهتمام الكافي وتعلموا فيها وحولها، وسألوا الله أن يرزقهم فيها العلم، فسيكون للمسلمين شأن كبير. علم الفضاء هو علم المستقبل بلا شك، ومما أعطانا الله اياه في هذا القرآن من علم سيمكننا بلا شك من امتلاك علم المستقبل وبالتالي السيطرة على المستقبل – بإذن من الله من قبل ومن بعد. عليك عزيزي المسلم أن لا تهمل هذا الجانب، وأن لا تركن للذرائع بعدم وجود البنية التحتية لامتلاك هذا العلم، ونقص التمويل وغيرها من الأسباب. نسأل الله أن يضع هذا العمل الذي بين يديك، أن يضعه في يد من هم من أصحاب القرار والمال ممن يضعون هذا الأمر نصب أعينهم وأن يعطيهم الله بعد النظر والقدرة على امتلاك الرؤية نحو المستقبل لما قد يكون فيه خير هذه الأمة، وأن تبدأ مشاريع حقيقية في بحث علوم الفضاء وعلوم خلق السماوات والأرض وعلوم خلق الليل والنهار، أو قد نختصرها بعلم التسخير والسعي لفهم أكبر لهذا العلم ولكيفية تملك مفاتيحه، التي أمتلكها البشر من قبل كما يدل التاريخ ودل القرآن في أكثر من موضع، لكن علينا الاجتهاد وعدم التواكل والتعلل بما لا يخدم رفعتنا وتطورنا كمسلمين.

علم معرفة الشهاب الثاقب

قال ربكم عز وجل في محكم تنزيله (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10) سورة الصافات)، وقد ورد حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الأمر، عَن أَبِي هُرَيرَةَ، يَبلُغُ بِهِ النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللهُ الأَمرَ فِي السمَاءِ،

ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجنِحَتِهَا خُضعَانًا لِقَولِهِ، كَالسلسِلَةِ عَلَى صَفوَانٍ فَإِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِم، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبكُم، قَالُوا لِلذِي قَالَ: الحَق، وَهُوَ العَلِي الكَبِيرُ، فَيَسمَعُهَا مُستَرِقُو السمعِ، وَمُستَرِقُو السمعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوقَ آخَرَ فَرُبمَا أَدرَكَ الشهَابُ المُستَمِعَ قَبلَ أَن يَرمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحرِقَهُ، ورُبمَا لَم يُدرِكهُ حَتى يَرمِيَ بِهَا إِلَى الذِي يَلِيهِ، إِلَى الذِي هُوَ أَسفَلَ مِنهُ، حَتى يُلقُوهَا إِلَى الأَرضِ فَتُلقَى عَلَى فَمِ الساحِرِ، فَيَكذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذبَةٍ، فَ يُصَدقُ فَيَقُولُونَ: أَلَم يُخبِرنَا يَومَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدنَاهُ حَقا؟ لِلكَلِمَةِ التِي سُمِعَت مِنَ السمَاءِ"، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وربما كلنا يعلم حول الشهب والنازك ومن يملك الحد الأدنى من العرفة فإنه يدرك أنها أجرام سماوية تختلف في أحجامها وتدور حول الأجرام السماوية المختلفة وقد تسقط على الأرض – أو سواها – لعدة عوامل على رأسها الجاذبية، ولك عزيزي القارئ أن تزيد من معلوماتك حول الشهب والنيازك وهو علم متوفر ومتاح. أما ما نعرفه نحن المسلمون من سياق القرآن هو أن الشهب بالتحديد هي مما خصه الله وعز لرجم الشياطين أو الجن التي تحاول استراق السمع في السماء لمعرفة حال أهل السماء، خاصة في الأمور المتعلقة بالغيبيات حول أحوال أهل الأرض من البشر، فيقصم الله بهذه الرواجم أمر كل من هؤلاء الشياطين والجن، وهذا أمر ثابت في عقيدتنا.

العلم أكد على عدة حقائق حول هذه الشهب مما أتى في القرآن:

(1) هناك أعداد وكميات فوق تصورنا من الشهب والنيازك تسقط يومياً على الأرض حتى وإن لم نتمكن من مشاهدتها،

(2) سرعة هذه الأجرام كبيرة للغاية لدرجة تجعلها (تثقب) الغلاف الجوي للأرض وما دونه في الأرض، وهذا هو الوصف القرآني لحركة هذه الأجرام،

(3) يقول لولا أن لهذه الشهب والنيازك مسارات محددة في هذا الكون – خاصة فيما يلي السماء فوق الأرض – لكان لها تأثير كارثي على حياة الناس وتسببت في آثار سالبة كبيرة.

نعتقد أن لدينا جانب من المعرفة نحن كمسلمين حول هذه الشهب والنيازك يخفى على علماء الفلك والفضاء من غير المسلمين، أي أن لهذه الشهب والنيازك خاصة التي تسقط إلى الأرض أو قريباً منها لها وظيفة محددة وهي رجم الشياطين، وبالتالي هي تسقط في اتجاهات محددة وفق تقدير إلهي يعلمه الله عز وجل وقد يمن بمعرفته على من يريد من عباده. وقد يرتبط هذا الباب من العلم على ما قد مررنا عليه في جزء اخر في باب خلق الجن والبحث المطلوب في هذا الباب والمتعلق حول كيفية إيجاد تقنيات تمكنا من رؤيتهم والتعرف على حركتهم، وما ذلك على الله ببعيد. لكن سيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم الطقس (الرياح والسحاب والمطر)

لعلنا نبدأ بأحدي الآيات الجامعة في أبواب العلوم والتي مرت علينا في عدد من المرات، إذ يقول رب العزة في كتابه الكريم (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) سورة البقرة). وقد تناولت هذه الآية، وغيرها من الآيات كما سنرى لاحقاً، تناولت جميعاً

باباً مهماً من أبواب العلم، الا وهو علم الطقس والذي يتضمن جوانب مثل الرياح، السحاب، المطر، درجات الحرارة وغيرها من فروع هذا العلم.

قال الله عز وجل (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9) سورة فاطر). وقال سبحانه (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) سورة الأعراف). هاتان الآيتان تحدثتا عن حقيقة أساسية في أسباب نزول المطر الا وهو تأثير الرياح في نشر السحاب، نعلم على الأقل أنه في الفترة ما بين نزول القرآن والفترة الحالية لم يتاح للإنسان صعود السماء ومعرفة ما يجري فيها إلا منذ حوالي اقل من مائة عام، لكن الله عز وجل أخبر الناس عن حقيقة علمية لم يعرفها العلماء إلا عندما أتاحت لهم التقنية دراسة طبقات الجو والهواء ودراسة توزع الرياح في الغلاف الجوي وبين السحاب. سبحانك يا من علمت نبيك الكريم ما لم تعلمه لأحد من خلقك، و يا من توحي العلم بإذنك لمن تصطفي.

وفي منحى اخر قال سبحانه وتعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) سورة النور). قيل إن هذه الآية سورة النور قامت بسرد دقيق ومفصل لكيفية تكون نوع من أنواع السحاب يعرف الان كما سمته الآية بالسحاب الركامي، وقد لا نود أن ندخل في هذه التفاصيل الدقيقة للغاية حول كيفية تكون السحب الركامية، لكن قدرة الله الواسعة وعلمه الذي يحيط به أحد من خلقه إلا بإذنه قد قدم لنا أحد محاور علم الطقس منذ 1400 سنة، لكن للأسف لم يفطن لهذا الأمر أحد حتى أتى العلم الحديث ليحدثنا عن هذا النوع من السحب، لنجد أنفسنا نستيقظ فجأة ونصرخ قائلين لقد أتى ذكر هذا في القرآن، لكن أين كنا قبل ذلك؟ اليس هذا بسؤال مشروع؟ الحقيقة الثانية في هذه الآية هي ذكر الله عز وجل وكلامه عن التأليف بين السحاب، وهو وصف أدق من أن يخطر على قبل بشر حتى قبل مائة عام من اليوم، حيث أنه من المستحيل أن تتقارب هذه السحب من بعضها البعض إن لم تتجاذب الشحنات الكهربائية التي فيها، وفي حال تألفت هذه الشحنات بين موجب وسالب، حينها فقط يحدث اندماج هذه السحب مع بعضها.

وفي سورة الروم قال الله سبحانه وتعالى (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) سورة الروم). هذه الآية تصف بدقة متناهية العمليات التي تحدث فوق رؤوسنا وينتج هنا هطول المطر وهي كالتالي: (1) إرسالُ الرياح: لترفع ذرات الماء من البحار إلى الجوّ، (2) إثارة السحاب: من خلال تلقيحه وتجميعه، (3) بسطُ السحاب: من خلال الحقول الكهربائية، (4) جعلُه كِسَفاً: أي قطعاً ضخمة وثقيلة، (5) نزول الودْق: وهو المطر الغزير. وعلم الطقس هو علم واسع للغاية لمن يلم بما فيه من تفرعات، لكن بالتأكيد سنجد أنه من خلال المرور السريع على بعض آيات القرآن سنجد أن الله عز وجل قدم للإنسان الذي يرى عبر بصيرته ويقرأ بقلبه أساسيات هذه العلم منذ 14 قرناً، لكننا نحن المسلمون للأسف لم نستيقظ كما قلنا من قبل إلا حين قدم لنا الاخرون هذه العلوم، لنستيقظ على أننا نعرفها من القرآن، لكن بماذا نفعنا من هم حولنا بعلمنا هذا؟

اللهم أنفعنا بما علمتنا في القرآن واجعل لنا فيه من الفائدة والصلاح ما ينتفع به عامة المسلمين وبقية خلقك.

علم الطيران والسفر فى الفضاء

سنجد أن هناك عدد من الآيات القرآنية ورد فيها هذا المجال من العلوم، فقال الله عز وجل (أَوَ لَمْ يَرَوا إلى الطير فوقهم صافَّات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن، إنه بكل شيء بصير (19) سورة الملك)، وكذلك في قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) سورة النور)، وفي سورة النحل (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (79) سورة النحل). هذه الآيات الثلاثة مثلت قدرة إلهية في شيئين، الأول هو الحديث عن ديناميكية الطيران عند الطيور في الآية (19) من سورة الملك وفي الآية (41) من سورة النور، إلا أن الإعجاز الحقيقي هو المحور الثاني وهو تناول الآيات لعلم الطيران بمفهومه الحديث المرتبط بالطائرات وما شابهها من الآلات. ففي الحديث عن الطيور، يحدث الله عز وجل عن استعمال الطير لأجنحته في الطيران وقدم فيها الآية الأولى وصفاً لحقيقة أن الطير يتوقف عن استخدام أجنحته في الجو للاستفادة من ضغط الهواء الذي يمكنه أن يواصل طيرانه في الجو دون الحوجة لتحريك الأجنحة، ولعل هذه المعلومة بالذات هي أحد قواعد الطيران المعروفة خاصة للطائرات، فمع وجود حركة المحركات التي تحرك الهواء من حول الطائرة، يظل عمل الأجنحة الثابتة للطائرة هو الاستفادة من ضغط الهواء فوق وتحت الجناح، فيقوم الضغط الجوي بعمله على تثبيت الطائرة – بإذن الله وقدرته - في وضعية ثابتة بحيث لا تسقط، يا سبحان الله، هذه القاعدة في الطيران لم تعرف إلى في منتصف القرن العشرين الميلادي، لكن علمها الله للإنسان منذ 1400 سنة قبل ذلك.

أما في قوله سبحانه وتعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) سورة الأنعام). قدمت هذه الآية معجزة في العلوم، فقدمت وصف دقيق لأعراض نقص الأوكسجين وازدياد الضغط في الغلاف الجوي للأرض للذي يسافر للفضاء، فنقص الأوكسجين متزامناً مع ارتفاع الضغط الجوي في الغلاف الجوي يجعلا الإنسان يشعر بضيق عالي في الصدر وعدم القدرة على التنفس. هذه الحقيقة لم يعيها الإنسان إلا مع تقدم التقنيات والقدرة على السفر في الفضاء. وقد عانى من هذه الأعراض رواد الفضاء مع بدايات تجربة السفر الفضائي، حتى اكتشف العلماء الأسباب وراء هذه الظاهرة وبدأوا في علاجها.

لكن بالضافة الى هذه الظواهر تظل في القرآن مساحات آخري للبحث العلمي، ففي قوله عز وجل في محكم التنزيل (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) سورة الرحمن)، كثر الحديث عن مفهوم شواظ النار والنحاس وكثرت تأويلاته، لكن بالتأكيد فإن مع تقدم علوم الفضاء ستكون مساحات أكبر للتعرف على ما يرمي اليه الله عز وجل من معاني في هذا الجانب.

علم جريان الشمس لمستقرها

في بعض الآيات القرآنية ذكر الله عز وجل هذا الأمر فقال سبحانه وتعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (29) سورة لقمان)، وكذلك في قوله (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) سورة يس). بعد الكثير من الجدل والعديد من الأبحاث في مجال علوم الفضاء، استقر رأي أغلب العلماء على أن الشمس غير ثابتة في مكانها، بل أنها تتحرك بسرعة كبيرة في مسار لولبي الشكل إلى اتجاه معين في الفضاء. وهذا عكس ما كان يعتقد به في الماضي من حيث أن الشمس ثابتة وأن كواكب المجموعة الشمسية تتحرك حولها. بل وجد أن دوران الأرض حول الشمس في حد ذاته ليس بالدوران الحولي كما يدور الإنسان حول الكعبة مثلاً، لكن هو دوران لولبي بحيث أنهما يدوران حول نفسيهما ويتحركان للأمام في ذات الوقت، ويوجد فيديو على موقع يوتيوب على شبكة الانترنت يمكنك عزيزي القارئ البحث عنه ومشاهدته لفهم هذا الأمر. لكن رجوعاً لمحتوى الآية، فإنها نصت صراحة على أن الشمس تجري أو تتحرك في اتجاه معين (مستقر لها) و (إلى أجل مسمى). هذا علم عظيم لا يتوفر عليه كل الناس، فمعرفة هذه العلوم التي توصل إلى الله وتدل على قدرته كان من الأولى أن تأتي منا نحن المسلمين لنقدمها دليلاً على عظمة ما بين أيدينا من كلام الله وتنزيله.

علم علاقة الشمس بالقمر

مما ورد في هذا الأمر قول الله سبحانه وتعالى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40) سورة يس). كنا قد ذكرنا أن الشمس تجري وتسرع بالفعل في الفضاء في اتجاه معين، وأن الشمس كما الأرض، وينضم إليهما القمر كذلك كلها تدور بالفعل في مسارات محددة، تسمى بالمدارات، وسماها الله عز وجل في القرآن بالفلك، قد تكون بعض من هذه المعلومات معلومة لديك عزيزي القارئ. حديثاً أثبت العلم أن حركة الشمس السريعة للغاية تسحب من خلفها الأرض والقمر أيضاً وذلك بفعل جاذبية الشمس التي تجذب الأرض والقمر معاً، ومع دوران كل في مسار محدد، فأي من هذه الأفلاك الثلاثة لا يمكن أن تلتقي – على الأقل إلا بإذن من الله كما أخبر في القرآن – لكن الحقيقة الأهم هنا أن سرعة الشمس الكبيرة مصحوبة بقوة الطرد المركزية لدوران الشمس والقمر في أفلاك متوازية وقريبة، يجعل كل ذلك أنه من غير الممكن أن تدرك الشمس القمر أو أن يدرك القمر للشمس. يا سبحان الله، سبحانك يا مقدر هذا الكون ومدبره ومسيره بعلمك وحكمتك. القرآن الكريم أخبر بهذا الباب من أبواب العلم قبل 14 قرناً من الأن، فأي إعجاز أعظم من ذلك.

علم خلق النجم الطارق الثاقب

قال الله عز وجل (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) سورة الطارق). في السنوات الاخيرة بدأ علماء الفضاء في تقصي وجود نجوم عملاقة في الفضاء سميت بالنجوم النيترونية، وأطلق عليها لاحقاً الطوارق الكونية، وهي نجوم هائلة الحجم تبعث ترددات صوتية وإشارات وعندما تم تحليلها وجد أنها تأتي مثل الطرق على الأبواب، هذه الأصوات تبدأ

بالصدور عندما يبدأ النجم في التهاوي بعد بلوغ كتلته مرحلة معينة، وبعدها ينفجر النجم على ذاته. الجزء الآخر المثير في هذه الاكتشافات، أن لهذه النجوم القدرة على إصدار شعاع من الضوء قوي للغاية. هذه النجوم يقال أنها قادرة على ثقب أي شيء تصادفه في طريقها وذلك نسبة لحركتها السريعة للغاية. ندعوك عزيزي القارئ للقراءة حول هذه الظاهرة المثيرة للاستغراب والتي تدل على عظمة الخالق.

لا شك إذن أن النجم – أو مجموعة النجوم -الطارق الثاقب موجود، وأنه خلق عظيم من خلق الله موجود في هذا الفضاء، الحلقة التالية في هذا البحث العلمي يجب أن تكون حول أهمية هذا النجم وما علاقته بالبشر وفيما هو مسخر لأدائه، فالله عز وجل أخبرنا أنه سخر لنا كل ما في السماوات والأرض، وحين يقسم الله بهذا النوع من النجوم لابد وأن يكون ذا أهمية بلا شك. إذا عليك عزيزي القارئ – خاصة إن كنت من المهتمين بعلوم الفلك والفضاء – أن تضع هذا الموضوع نصب عينيك وتفكر فيه، وتحاول أن تجد الحلقة أو الحلقات التالية في هذا المجال من العلم. لكن سيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم النجوم الهاوية

في هذا الجانب قال رب العزة، أعز من أقسم (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) سورة النجم). (تنبيه: الجزء التالي منقول للفائدة) "يقول العلماء في اكتشاف جديد من نوعه إنهم اكتشفوا نجماً وقد تهاوى على نفسه وانفجر بشكل مروع. إنه نجم عملاق يبلغ وزنه 150 ضعف وزن الشمس، وقد بث كمية هائلة من الضوء لم يشهدها التاريخ من قبل. ويعتبر العلماء هذا النجم من أكبر النجوم العملاقة في الكون، ويعبرون عن هذا الانفجار بموت النجم، ولكن هذا التعبير غير دقيق، لأن النجم عندما ينفجر لا يموت، بل يتحول من شكل لآخر. وتتلخص قصة هذا النجم أنه بعد عدة بلايين من السنين يستنفد هذا النجم وقوده ولم يعد قادراً على إنتاج الضوء والحرارة، وبالتالي يبدأ بالسقوط على نفسه باتجاه مركزه. ويؤكد العلماء إن أفضل وصف لحالة هذا النجم هي أن نقول إنه يتهاوى على نفسه وتسقط مادته باتجاه المركز، حيث إن مركز النجم هو مركز الجاذبية فيه، وبالتالي تتسارع مادة النجم باتجاه مركزه ويعتبر العلماء هذه العملية بمثابة سقوط لمادة النجم باتجاه مركز جاذبيته" انتهى.

وكنا قد عقبنا على موضوع النجم الثاقب، فإننا نعود لنذكر ذات الفكرة، ذلك أن الحلقة التالية في هذا البحث العلمي يجب أن تكون حول أهمية هذا النجم وما علاقته بالبشر وفيما هو مسخر لأدائه، وقد أقسم الله بهذا النوع من النجوم كما أقسم بالنجم الطارق ولابد وأن يكون ذا أهمية بلا شك. إذا عليك عزيزي القارئ – خاصة إن كنت من المهتمين بعلوم الفلك والفضاء – أن تضع هذا الموضوع نصب عينيك وتفكر فيه، وتحاول أن تجد الحلقة أو الحلقات التالية في هذا المجال من العلم. لكن سيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم حساب الزمن عبر الشمس والقمر

قال الله عز وجل (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) سورة الأنعام). ولا شك أن علم حسان الزمان عبر استخدام الشمس والقمر هو علم قديم بقدم الزمان، وبالتأكيد هناك من الدلائل ما يدل أن كان موجوداً قبل نزول القرآن الكريم. تختلف دول العالم في ثقافاتها فيما يلي التقويم، إلا أنها تشترك جميعاً في استخدام أسس الفلك في حساب هذا التقويم. وبينما تعتمد الغالبية العظمى من الدول والشعوب على الشمس في الحسابات، اعتمد البعض الحساب القمري في التقويم، والتقويم الهجري هو أحد هذه الأمثلة. ولعل الاختلاف في هذا الأمر وارد فقد خص الله عز وجل الشمس والقمر كلاهما بإمكانية استخدامها للتقويم، كما جاء في الآية الكريمة. لكن شأن كل شيء في خلق الله، هناك صالح وهنا ما هو أصلح منه. وحتى الأن لم يتم تقديم دراسة وافية حول ما هو أساس حساب التقويم الأفضل هل التقويم الشمسي أم القمري؟ من مبدأ سطحي للغاية، لكن في ذات الوقت فيه يقين فيما جاء في القرآن، نقول ما دام الله عز وجل قدم الشمس على القمر في كون أنهما حسبانا، فذاك قد يدل على أن حساب التقويم بالنظام الشمسي قد يكون هو الأفضل، والله أعلم، لكن على جانب اخر سنجد أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نتبع التقويم القمري خاصةً فيما يلي تحديد الشهور التي من ضمنها شهر رمضان المبارك. فهل من باحث يقدم للعلم والناس ما قد يفيدهم في هذا الجانب؟ وكعادتنا نقول إنه سيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم كيفية سجود النجم والشجر

يقول الله عز وجل (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) سورة الرحمن). لعل سورة الرحمن، شأنها شأن عدد من سور القرآن، قد اشتملت على عدد من ملامح وجوانب العلم التي قد تتبدى لنا نحن البشر وبعضها قد يخفى علينا. الآية التي قدمناها هنا قد تكون من العلوم الخافية علينا، أي كيف يكون سجود النجم والشجر؟ ومن الوارد هنا أن نشير إلى أن النجم هنا قد تعنى النجم وهو ما معروف باسم الاجرام السماوية بتعريفها المعروف علمياً أو عرفاً، والنجم كذلك قد يعني في اللغة العربية النبات الذي لا ساق له وقد قال علماء التفسير أنه المقصود في الآية حيث ذكره الله عز وجل مع الشجر والذي هو النبات الذي له ساق. والسياق العام للآية يقبل التفسير بكلا المعنيين للنجم. أما فيما يلي باب العلم، فنقول أن التقنية الحديثة قدمت لنا الكثير من الفرص لمعرفة خبايا هذا الكون، وقد يكون الكشف العلمي القادم الذي يقدمه أحد المسلمين أن يعرف العالم على كيفية سجود النجم والشجر. السجود لغة بشكل عام يعني الخضوع والتذلل، وقد لا يعني بالضرورة السجود المادي المعروف لدينا نحن المسلمين كحال السجود في الصلاة. لكن حتى الخضوع والتذلل يقتضي على الأقل الانحناء أو وضع الرأس في وضع مائل عن الجسد أو حتى على الأرض كما في الصلاة، أي أن معنى السجود يقتضي الحركة الدالة على الخضوع بشكل أو باخر. يبقى السؤال المتاح للبحث، كيف يسجد الشجر والنجم (بأي من معانيه) هل هو سجود مادي أم معنوي وكيف نفرق بين وضعية السجود من عدمها في هذه الكائنات؟ أما الأكثر أهمية من البحث العلمي في هذا الامر

أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علوم البحار

علم البحار هو أحد العلوم التي ذكرها الله تعالى في القرآن في عدة مواضع، وهو من العلوم التي خطته هذه الآية الكريمة من سورة يس، إذ قال الله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)). سنتناول في لمحة سريعة بعضاً من الملامح مما ذكر في القرآن في علوم البحار مما اكتشفه العلم وذكر في القرآن، فيقول الله عز وجل (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (53) سورة الفرقان). لعل هذه الآية هي من أكثر الآيات التي استخدمت للدلالة على قدرة الخالق عز وجل وقدرته وبيان ذلك في القرآن الكريم فيما يلي علوم البحار، وذلك بالحديث عن ظواهر لم تكتشف إلا حديثاً، فحتى وقت قريب لم يعرف ما هو المقصود بالتحديد من هذه الآية، حتى أثبتت صورة الأقمار الصناعية والتحليلات التي أجريت على النقاط التي تلتقي فيها البحار مع بعض الأنهار حيث أن المياه في هذه الملتقيات لا يحدث بينها اختلاط نتيجة للالتقاء. هذه الظاهرة ليست مرتبطة فقط بمياه البحار والأنهار، بل أن هناك من الدلائل ما يشير إلى أن هذا أيضاً يحدث بين مياه البحار والمحيطات والتي تتصف في العادة بذات الخصائص، وهذه هي قمة في الإعجاز الإلهي. ووجد العلماء أن هناك بالفعل حاجز (أو برزخ كما وصف في القرآن) بين البحرين يتحرك بينهما يسميه علماء البحار (الجبهة) تشبيهاً له بالمساحة التي تفصل بين الجبهتين، وبهذا يحافظ كل بحر على خصائصه التي قدرها الله له، ويكون مناسباً لما فيه من كائنات حية تعيش في تلك البيئة. بل سنجد أن هذه الظاهرة لا تحدث على مستوى رأسي أي بوجود مياه مفصولة على الناحية اليمنى على سبيل المصال واخرى على الناحية الشمال، بل تحدث بشكل أفقي أيضاً، أي أن طبقات المياه التي في البحار قد تتسم أيضاً بوجود هذا الحاجز، مثل مياه التيارات البحرية العميقة المختلفة. سبحانك يا رب السماوات والأرض ومن وما فيهن، يا من بعثت لنا نبيك وحبيبك محمد بخير رسالتك وكتبك.

من الآيات الاخرى، قول الله عز وجل: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) سورة النور). من المعلومات التي أكدها العلم الحديث ودلت عليها هذه الآية الكريمة والتي كان من الصعب على الناس الوصول إليها دون بعض وسائل التقنية الحديثة:

(1) انتشار الظلام في أعماق البحار والمحيطات، وتتدرج شدة الظلام بين المياه الأقرب إلى السطح وصولاً إلى أعمق نقطة في المياه.

(2) وجود ظاهرة الأمواج الداخلية في الطبقات العميقة من مياه البحار وتلك التي في المحيطات.

(3) هناك علاقة وثيقة بين ظاهرة الظلام في المياه وحركة وسرعة الأمواج الداخلية ترتبط جميعها بالعمق والبعد عن السطح،

(4) أخبر القرآن بأن هذا الموج الداخلي يغطي البحر العميق، الأمر الذي لم يعرف إلا بعد صناعة الغواصات.

وفي مجال اخر في هذا العلم قال الله عز من قال (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6) سورة الطور)، ومثلها (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) سورة التكوير)، وأيضاً (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) سورة الانفطار). هذه الآيات الكريمة تناولت ظاهرة التقاء الماء مع النار وهو شيء لم يكن من السهولة بمكان تخيله في الزمن الماضي، لكن في الفترة التي تلت العام 1950م كشفت الابحاث أن في قاع المحيطات والبحار توجد مجموعة كبيرة من الصدوع تندفع منها مواد بركانية تسمى اللافا البازلتية والتي تصل درجات حرارتها إلى ألف درجه مئوية فتبدو للعيان وكأنها كتل من النيران الهائلة تحت سطح الماء حيث إن الماء لا يستطيع أن يطفئها ولا الحرارة على شدتها تستطيع أن تبخر الماء لكثرته، فتظهر الصورة للعيان وكأن البحر هو مسجور بالفعل، ومسجور تعني مشتعل.

وتظل هناك مساحات ما زالت متاحة للبحث العلمي في علوم البحر، فقد قال الله عز وجل (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42) سورة يس). وقال أيضاً (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (42) سورة الروم). فبالرغم من التفاسير المختلفة التي قدمت في الآيات أعلاه، خاصة فيما يلي مفهوم الفلك المشحون وكذلك مفهوم الفساد في البحر، ومع احترامنا الشديد لكل علمائنا الأجلاء الذين سبقونا في فتح مساحات لفهم هذه المعاني والمفاهيم -والتي لا نود الدخول في تفاصيلها في هذا المقام – الا أن الشاهد قد يقر بأنه مازالت هناك مفاتيح غائبة قد تسهم في فهم أكبر لهذه الآيات. وهذه دعوة للباحثين في مجال علوم البحار للمساهمة والإدلاء بدلوهم في دعم التفاسير الموجودة، أو الخروج بعلوم جديدة تسهم في معرفة أفضل لمضمون هذه الآيات، هو ليس على الله ببعيد لمن أرد له الله عز وجل التوفيق والسداد. هذا وسيظل الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علم أصل الحديد

قال الله عز وجل (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) سورة الحديد). مما لا شك فيه أن بات معروف للكثير من الناس أن استعمال كلمة (أنزلنا) في هذه الآية مقرونة مع كلمة الحديد هو تحدى علمي عظيم في القرآن الكريم. فالحديد لا يمكن بأي حال من الأحوال، وفق الدراسات الخاصة بنشأة وأصل الحديد، أن يكون الحديد خلق على سطح الأرض، بل قد وجد أن الحديد في الأصل هو موجود في الفضاء الخارجي للأرض وأنه يسقط إلى الأرض ضمن الغبار الكوني من الفضاء، وذلك على مر السنوات منذ خلق الأرض وحتى يومنا هذا. إضافة إلى ذلك، فمن المعروف في أساسيات الكيمياء والفيزياء أن الوزن الذري للحديد هو 29، وهو يتطابق مع عدد آيات سورة الحديد في القرآن، الأمر الذي قد يعده البعض من الصدف، لكنه حقيقة ودلالة على قدرة الله.

علوم الزراعة والنبات

علوم الزراعة ذكرت في غير موضع في القرآن الكريم، وهو بالتأكيد من العلوم المهمة في حياة البشرية. ومن الآيات القرآنية في هذا المجال قول الله عز وجل (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) سورة الأنعام)، وكذلك قوله سبحانه وتعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) سورة فاطر). وما زلنا نتعلم في كل يوم كيف نحسن في إنتاج ما نقوم به من أعمال الزراعة، حيث يقول العلماء أنه لولا تطور العلوم في هذا المجال لعانى الناس كثيراً من نقص الأغذية النباتية، خاصة الحبوب والتي هي بالفعل لا تكفي حالياً بكل الحوجة الفعلية لها في كل العالم.

علم كيفية خلق الجبال

لعلنا نعلم أن الكثير من الآيات القرآنية قد تناولت هذا الموضوع من جوانب العلم، قال الله عز وجل في محكم القول (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) سورة فاطر)، وقال سبحانه (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) سورة النبأ)، وفي موضع اخر (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33) سورة النازعات)، وكذلك (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) سورة الغاشية)، وفي سورة النمل (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) سورة النمل). ولعلنا نقدم هنا سرداً سريعاً لبعض الحقائق العلمية حول الجبال والتي كشفها العلم وأتت في معاني آيات القرآن الكريم التي تناولت خلق الجبال (ملحوظة: بعض هذه المواد منقول بغرض نشر الفائدة):

(1) أن القشرة الأرضية وما عليها من جبال لا تمثل إلا جزرا طافية على بحر من صخور ذات كثافة عالية وبناءً على ذلك فلا بد للجبال لضمان ثباتها واستقرارها على هذه المادة الأكثر كثافة أن تكون لها الجذور، قال تعالى (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا).

(2) عرف الدارسون لعلم الأرض والجبال حقيقة اتزان القشرة الأرضية رغم ما تحمله من جبال وتلال ووديان وأن هذا الاتزان لا يتم إلا من خلال امتدادات من مادة القشرة داخل نطاق الوشاح والتي لا يمكن أن تمثل عمليا إلا بدور الأوتاد في تثبيت الخيمة على سطح الأرض لضمان ثباتها وعدم اضطرابها وهذه الامتدادات (الجذور) تحت السطحية تتناسب طرديا مع ما يعلو الأرض من تراكيب فهي جذور ضحلة في حالة المنخفضات وعميقة في حالة الجبال العالية لكي يحدث الاستقرار على هذه الأرض، قال تعالى (مَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ).

(3) أشار المولى عز وجل عن عملية تكوين الجبال، والتي لم يكتشفها العلم إلا حديثاً، فلقد قال المولى في كتابه العزيز (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ)، وتشير الآية الكريمة بإعجاز علمي بالغ الدقة إلى أن عملية تكون الجبال على سطح الأرض حدثت بطريقة الإلقاء على الأرض، وهذا الإلقاء تم جيولوجيًا عبر العصور نتيجة حدوث البراكين وما يقذفه من باطن الأرض الملتهب من خروج للحمم والصهارة إلى الأعلى ثم عودتها لتستقر على سطح الأرض.

(4) في قوله عز وجل (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (*) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) حكمة عظيمة خطت قاعدة من قواعد الحضارة الإنسانية، فمن المعروف أن الجبال هي مصدر مهم للكثير من المعادن التي ينتفع بها الإنسان في وقتنا الحالي، وما كانت هذه المعادن تعرف من قبل أنها موجود في الجبال ولم يكن بالإمكان أستخرجها أو استخلاصها من حجر الجبال الا من خلال التقنية الحديثة، وهذا بالتأكيد هو من متاع الدنيا أي مما يمكن الاستفادة منه.

(5) لقد اكتشف العلماء حديثاً أن الجبال تتحرك حركة خفيفة جداً بحدود بضعة ميليمترات كل سنة، وهذه الحركة لا يمكن ملاحظتها أبداً ولكن لغة الأرقام والقياسات لعمر الأرض وشكلها قبل ملايين السنين، كل هذه معطيات تؤكد وجود الحركة للجبال مع الألواح التي تقوم عليها. فالألواح الأرضية كما قلنا تتحرك وبما أن الجبال تقوم على هذه الألواح فهي تتحرك معها. هذه هي الحركة الأولى للجبال والتي لم يتأكد وجودها إلا حديثاً جداً. ولكن هنالك حركة ثانية، فعندما تدور الأرض حول محورها تدور معها الجبال، وهذه الحركة يمكن رؤيتها مباشرة من الفضاء الخارجي.

(6) الجبال تلعب دوراً أساسياً في تشكل السحب والأمطار، فكما نعلم أن قِمم الجبال العالية دائمة الثلوج، فهي مغطاة بطبقة جليدية تنخفض حرارتها دون الصفر. وعندما يرتفع بخار الماء المحمول من البحار إلى الجو بواسطة الرياح مما يؤدي ذلك إلى تبرد هذا البخار لدى ملامسته لقمم هذه الجبال. ثم عندما يبدأ المطر بالتساقط، يهطل بغزارة حول الجبال وعليها وتتشكل السيول وينفذ جزء من ماء المطر إلى داخل الجبل حيث يتم تنقيته وتصفيته عبر طبقات الجبال، قال عز وجل (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتاً).

(7) تم اكتشاف نوع جديد من أنواع الجبال يقع في الشمال والجنوب الغربي والجنوب الشرقي للصين. تتميز هذه الجبال بألوانها الحمراء والبيضاء وألوان أخرى وتتميز بنتوءاتها الحادة وهي أنواع فريدة من الجبال تتميز بها هذه المناطق، قال عز وجل (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ). وتظل هناك المزيد من المعارف والمعلومات حول علوم الجبال نرجو منك الاطلاع عليها عزيزي القارئ لمعرفة قدرة الله في خلقه. وكنا قد تحدثنا من قبل عن علم التسخير، وعرفنا أن هذا العلم قد منحه الله لبعض من خلقه وعلى قمتهم الأنبياء والرسل، وقد يمنح الله هذا العلم بفضل منه إلى البعض من خلقه من غير الانبياء والرسل. وقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله عز وجل قد سخر الجبال لنبي الله داوود فيما سخره له، قال الله تعالى (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ). قد تكون عزيزي القارئ ممن يمكن أن يمن الله عليهم بتفهيمه علم تسخير الجبال. وقد يقول قائل اننا بالفعل نعرف الكثير عن الجبال وكيفية تسخيرها والانتفاع منها، لكن نقول اننا ما زلنا في حوجة للمزيد من

البحث في هذا المجال من العلم، خاصة إذا اطلعت عزيزي القارئ على أهمية الجبال وذكرها في القرآن الكريم.

وفي محور اخر ذا صلة قال الله عز وجل (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) سورة التين)، كما هو معلوم فإن سينين أو طور سيناء أو جبل موسى أو جبل المناجاة، هو الجبل الذي أنزلت فيه التوراة على موسى عليه السلام، وقد ذكره الله تعالى عدة مرات في القرآن، وهو بالقطع مقام مبارك. لكن يجب على العلماء ان يقوموا بدراسته لمعرفة ما فيه من خبايا ومعارف تقدم لنا ملامح من ملامح الإعجاز القرآني، وكذلك ما يمكن أن تكون فيه من فوائد اخرى. لكن الأكثر أهمية من البحث العلمي أن يسعى الباحث إلى معرفة كيف تستفيد البشرية من بحوثه في هذا المجال، وكيف يكون علمه نافعاً.

علوم التاريخ

علوم التاريخ من أكثر العلوم التي ذكرت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وتحدثت الكثير من الآيات حول هذه العلوم، هذا التكرار يدل بالفعل على أهمية هذه العلوم وعلى ضرورة الاهتمام بها أكثر وذلك لفوائدها المتعددة. هناك العديد من الآيات القرآنية تحدثت عن هذه العلوم، فقال الله عز وجل (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44) سورة فاطر)، ويقول كذلك في محكم التنزيل (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) سورة النمل)، وسألنا الله عز وجل قائلاً (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6) سورة التغابن)، و في سورة يوسف (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) سورة يوسف)، وكذلك في قوله عز وجل (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) سورة طه). ويبين الله أن علوم التاريخ هي جزء مما علمنا من بعد ما انزل فينا القرآن وجاءتنا الرسالة عبر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فيقول الله عز وجل (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) سورة البقرة). علوم التاريخ وبرغم تفرعها في القرآن الكريم إلا أنها تندرج ضمن محورين مهمين بغرض التقسيم:

- (أ) علم استخلاص العبر وذلك بدراسة حال الذين سبقونا وسننهم،
- (ب) علم التوثيق،
- (ج) علم الغيب من الاحاطة بأحوال الاولين. هذه العلوم مترابطة بلا شك، وتصب في بعضها البعض.

الآيات التي ذكرتنها هنا ما هي إلا لضرب المثل، وقد تجد بنفسك عزيزي القارئ أمثلة اخرى تعبر عن هذا العلم بشكل أكثر وضوحاً. لكن ما يدعونا للاهتمام بعلوم التاريخ هو الطريقة التي

دعانا بها الله عز وجل للنظر إلى التاريخ وذلك بضرورة استخلاص العبر والدروس المستفادة التي تساعدنا في معرفة الله والتقرب إليه أكثر وقد تساعدنا أيضاً في تطوير حياتنا بالنظر إلى دورة تطور الحياة وكيف يمكننا أن نفهم أسرار الحضارة والتطور البشري.

علم الحضارة والتقدم

لعلنا سنتعرض في مقام اخر -من محاولاتنا التعمق في فهم كتاب الله -سنتعرض بصورة أكبر لهذا العلم المهم في تاريخ البشرية كما نعرفه، الا وهو علم الحضارة والتقدم. ولعل الآيتين 82 و 83 من سورة غافر قد قدمت لنا بعضاً من مقومات وأسباب الحضارة والتقدم، فقد قال الله عز وجل (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (83) سورة غافر). وكما وعدنا سنقدم تحليلاً أوسع في هذا المجال من العلوم لاحقاً.

علوم التحقق من الخبر وتحري الحق والتيقن في الشهادة

عناك العديد من الآيات القرآنية تناولت هذه المجالات من العلم، فنرى ذلك في قول الله عز وجل (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) سورة الصف)، وفي قوله سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10) سورة الممتحنة)، وكذلك (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) سورة يوسف)، وفي سورة يوسف أيضاً (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73) سورة يوسف)، ومثل ذلك في قوله عز وجل (فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) سورة يوسف). لعل القرآن الكريم لم يهمل علوماً مهمة جداً في حياة البشر تتعلق بضرورة التحقق من الخبر وتحري الحق والتيقن في الشهادة. هذه العلوم مجتمعة تمثل دعامة مهمة جداً في المجتمعات المتحضرة التي تراعي الحقوق والواجبات وتضع كذلك بعين الاعتبار قضايا العدالة وإحقاق الحق. كل هذه قيم نادى بها القرآن وقدمها في قصص القرآن المختلفة، ولعل قصة سيدنا يوسف (في سورة يوسف بالتحديد) من أكثر القصص القرآنية التي قدمت هذه القيم كعلوم يجب عليها تعلمها والعمل بها.

علم الشعر

قد لا يكون علم الشعر قد ذكر في القرآن على أنه باب من أبواب العلوم، لكن سنجد أن الله عز وجل في سورة يس وفي عدة مواضع في القرآن قد نفى عن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أن يكون شاعراً أو أن ما أتى به من قرآن هو من باب الشعر، بل سنجد أن الله عز وجل نفى أن يكون قد علم النبي الكريم الشعر، فقال عز وجل (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) سورة يس). ولعل كلمة (علمناه) تدل بوضوح أن الشعر هو علم من العلوم الإنسانية، وقد كان في ذلك الزمان، أي زمان النبي عليه الصلاة والسلام، باب كبير ومهم من أبواب العلوم الذي تفتح لها المدارس (ليس بالمعني التقليدي) وتقام له المحافل.

علم معرفة الحلال والحرام

لا شك أن من أهم العلوم التي وردت في القرآن الكريم هو علم الحلال والحرام، فهو أساس مهم من أسس الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام. وقد قال الله عز زجل في محكم التنزيل (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) سورة الأعراف). هذه الآية أشارت بوضوح إلى أن فهم الآيات وحكمها في التحريم والتحليل لا يفقها إلا القوم الذين يعلمون. وقد قيل إن هذا العلم هو من باب العلم الذي هو فرض على كل مسلم، إذا لا تسقيم كثير من أسس الشريعة وفهم ما حرم الله وما حلل إلا من خلال المعرفة التفصيلية لهذا الباب من أبواب العلم، بل قد قال بعض العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم: طلب العلم فريضة على كل مسلم المراد به: طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا. وقد تكون الآية التي قدمنا سابقاً قد تناولت الحلال والحرام فيما يلي المأكل والمشرب بصورة أوضح، لكن عند عدد من علماء التفسير فإن كلمة الرزق يدخل في مفهومها العديد من المحاور الاخرى، على سبيل المثال المعاملات التجارية والمالية، المناكحة والزواج، وغيرها من المجالات التي يطرقها علم الحلال والحرام. وقد وردت الكثير من الأحاديث النبوية في هذا الجانب، على رأسها حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه "الحَلاَلُ بَيِنٌ، وَالحَرَامُ بَيِنٌ، وَبَينَهُمَا مُشَبهَاتٌ لاَ يَعلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ الناسِ" إلى اخر الحديث، وغيره من الأحاديث.

علم الرزق واسبابه

حين نتحدث عن علم الرزق وأسبابه لابد لنا أن نضع بعض الثوابت التي لابد من ذكرها بدءً. الله عز وجل خص ذاته العلية دون سواه في تقدير الرزق وعلمه الكامل، وقد أوضح ذلك عز وجل في محكم التنزيل في غير ذات موضع، فقال الله عز وجل (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) سورة العنكبوت)، وقال كذلك (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34) سورة لقمان). فتقدير الرزق والإحاطة بعلمه هي لدى الله وحده بلا شك. وحين نتحدث عن الرزق فنحن لا نتحدث فقط عن المال, بل قد يشمل ذلك الصحة، الحكمة، البنون، الزوجة، الرصيد الاجتماعي للفرد، السمعة بين الناس، وغير ذلك مما قد لا نستطيع إحصائه، وهذا مفهوم شامل للرزق يجب علينا جميعاً أن نعيه. أما عن حديثنا حول الرزق فيما يلي

العلوم التي يمكن أن يعلمها الإنسان فإننا نتحدث عن الأساسيات في هذا الباب التي يجب أن يعلمها كل مسلم وكل شخص موقن بالله ومتوكل عليه.

ولعلنا نسرد في عجالة محاور هذا العلم الذي يجب أن يعرفه الإنسان:

(1) قال الله سبحانه وتعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) سورة الأنفال)، في هذه الآية مبدأ مهم يجب أن يعيه كل مسلم في باب علم الزرق وأسباب استدامته، ألا وهي أن الله لن يغير ما بك من علم حتى تغير ما بك من حال، ولن ينقص الله من رزقك شيئاً ما دمت على الطاعة.

(2) قال الله سبحانه وتعالى (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75) سورة النحل). أسس الله في هذا الآية لمبدأ اخر الا وهو ربط الرزق الحسن كماً ونوعاً بالإنفاق سراً وجهراً مما يرزق الله به عباده. والعارفين بهذا المبدأ ويعملون به يعرفون تمام المعرفة والعلم كيف تنعكس الصدقة والإنفاق في سبيل الله على كم ونوعية الرزق الذي يساق إلى المؤمن.

(3) قال الله سبحانه وتعالى (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) سورة الطلاق). أخبر الله سبحانه وتعالى أن طاعتَه سببٌ في جلب الرزق، وتوسعته، وزيادته حيث أن من يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، ومن يتوكل علي الله في كل شئونه فإن الله عز وجل يجعل له من أمره مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من أبواب لا تخطر بباله.

(4) قال الله سبحانه وتعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) سورة ابراهيم). وهذا أيضاً معنى لا يقل أهمية من أسس علم الرزق وأسبابه، الا وهو استدامة الشكر لله عز وجل في نعمه.

(5) قال الله سبحانه وتعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) سورة النور). هذه الآية بلا شك هي مبدأ اخر في علم الرزق وأسبابه. فالعفة والاستعفاف هلا بلا شك سبب من أسباب زيادة رزق المسلم، بلا إن الزواج الذي يرجو المرء به عصمة ذاته من الوقوع في الحرام هو بلا شك سبب في زيادة الرزق بنص الآية.

(6) قال الله سبحانه وتعالى (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27) سورة الشورى). رغم أن هذه الآية قد تفيد الشرطية الوقفية، أي أن الله عز وجل لم يبسط الرزق إلى الناس كي لا يبغوا، إلا أن تحمل أيضاً معنى ضمني وهو أن الله عز وجل قد يقدر عليك رزقك ويقطعه عنك بعد وسع لك فيه إذا أظهرت شيئاً من البغي في الأرض ويجعل الله ذلك سبباً في قطع الرزق. ولعل المقام ليس مقام شرح البغي ومظاهره، وقد تسعى عزيزي القارئ لتنوير نفسك عن هذا الجانب.

(7) قال سبحانه وتعالى (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) سورة آل عمران). الدعاء وما أدراك ما الدعاء سبب في الرزق وفي فتح أبوابه.

وقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام الكثير من الأحاديث التي تناولت باب الرزق والأسباب التي تساعد في زيادة الرزق، منها على سبيل المثال، " من سَرهُ أَن يُبسَطَ لَهُ فِي رِزقِهِ، أَو يُنسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِل رَحِمَه" وغير ذلك من الأحاديث.

وقد تطول هذه القائمة من الأسباب والمبادئ التي تعينك عزيزي القارئ في معرفة أسباب الرزق واستدامته، وعليك السعي في تعلم هذا الباب من العلم فهو متاح لكل مسلم.

العلم في مجال العمل والتخصص

لعل سيدنا يوسف عليه السلام قد خط لنا مسار مهم جداً في مفهوم العلم والتعلم، مسار لا غنى لأي إنسان يود النجاح والمجد في هذه الحياة، خاصةً إذا ألقينا نظرة عن كثب إلى قصة سيدنا يوسف وإلى ما دلت عليه من المعاني المرتبطة بالنجاح وتغير الحياة. ففي سورة يوسف سنجد أن سيدنا يوسف عليه السلام حين واتته الفرصة للحديث مع ملك مصر وأراد وصف نفسه للملك قال "إني حفيظ عليم"، قال الله عز وجل في محكم التنزيل (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) سورة يوسف). سؤالنا هو: إذا أتتك الفرصة مثل سيدنا يوسف للتحدث عن نفسك أمام أحد الملوك أو الرؤساء أو حتى مديرك في العمل أو صديقك هل ستصف نفسك بالعليم؟ هل ترى نفسك بأنك عليم، أي بمعنى أنك عالم في مجال تخصصك أو علمك أو معرفتك؟ لا نود الإجابة بالإنابة عنك، لكنك ستحدد الأن وفي هذه اللحظة هل تود أن تكون عليماً في عملك كما وصف سيدنا يوسف نفسه أم لا؟ العلم في مجال التخصص أو العمل هو ما مكن سيدنا يوسف أن يصبح قصة نجاح تروى للبشرية إلى يوم الدين، ربما قد يكون الأهم من أن تكون عليماً أو تظن أنك عالم، أن يجد الناس فيك أنك عالم بالفعل، فلو لم يجد ملك مصر مطابقة بين قول سيدنا يوسف وبين فعله وعمله لما استدام له الأمر ولكان نزع منه. هذه دعوة منا لكل شخص يود النجاح في عمله أن يكون أحد أهم أهدافه أن يكون عليماً في مجال عمله وتخصصه، وهذا مسعى سيوفقك الله إليه بإذنه عز وجل مادامت نواياك خالصة.

الباب الخامس

من العلوم التى يمنحها الله عز وجل للإنسان يوم القيامة او فى الاخرة

علم الساعة والاخرة

لعل علم الساعة والاخرة قد أتى ذكره في أكثر من نوع من أنواع العلم، فقد خص الله ذاته العلية بالجزء الأكبر من علم الساعة والاخرة ولم يطلع عليه أحد من خلقه كما ناقشنا ذلك سابقاً، إلا أن قد منح بعض من هذا العلم إلى رسله وأنبيائه الذي بدورهم علموا الناس ببعض مما لديهم من علم في هذا المجال وحدث ذلك باستمرار الحياة من لدن بعث سيدنا نوح عليه السلام حتى يومنا هذا بعد بعث النبي الأعظم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام. بالإضافة إلى ذلك سنجد أن القرآن الكريم كما السنة النبوية قد علمانا أشياء أساسية حول الساعة والاخرة تطرقنا إليها سابقاً. تبقت من هذه العلوم ما سنعلمه نحن خلق الله في وقت حدوثه وسنتعلم عنه كما نتعلم في هذه الحياة الدنيا. وهذا النوع من العلوم ورد ذكره كثيراً في القرآن حيث أكد الله عز وجل أننا كبشر "سنعلم" في وقت حدوث الساعة وبداية الحياة الاخرة ما يجب أن نعلمه في وقتها. ولعل أكثر الآيات وضوحاً في هذا المجال هو ما جاء في سورتي النبأ والتكاثر، حيث قال عز وجل في سورة النبأ، (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5))، كما قال عز وجل (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) سورة التكاثر). وقد أطلق العديد من العلماء على علم الاخرة بالتحديد "علم اليقين" كما ورد في سورة التكاثر.

فيما يلي "علم الساعة" فإننا سنورد بعض التحليل لاحقاً عما صار يعرف لاحقاً ب "علم اخر الزمان"، والذي سنفرد له مساحة خاصة.

أما علم الاخرة أو علم اليقين فهو علم يفوق مدى إدراك الإنسان الحسي أو العقلي في أقصى وأعظم مقاماته وقد جمعها رسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي عن الله عز وجل حين قال عن الجنة (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بقلب بشر) وجاء في سورة السجدة (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) سورة السجدة). هذا العلم بالآخرة يتطلب من الإنسان أن يتحرر من الحس المادي والمفهوم المتدني للإدراك الذي يرتبط فقط عند أغلب الناس بما هو مادي ولا يتجاوزه إلى غير ذلك، حتى كاتب هذه الكلمات لا يستطيع أن يتطلع بأفقه إلى ذلك المقام السامي، لكننا لا يجب أن نتقيد بهذا القيد ونتجاهل المساحات اللامتناهية التي يمكن أن ينقلنا إليها تحررنا من هذا القيد إذا أيقنا بتلك المساحة من العلم التي أعلمنا الله أنها موجودة بالغيب وطلب منا أن نؤمن ونوقن بها. بداية التصديق بهذا اليقين هو علم بلا شك يرفعك عزيزي القارئ فوق مستوى الكثير من البشر منذ خلق أبانا آدم عليه السلام حتى يومنا هذا، والإدراك الروحي لهذا العلم يتطلب منك طاقة جسدية وروحية عالية تجتاز فيها الكثير من العلوم التي تحدثنا عنها منذ بداية تحليلنا هذا إلى هذه النقطة. علم اليقين علم يبدأ الأن ولا يبدأ في الاخرة، علم اليقين بوجود الله يقتضي

الإيمان بالله إيماناً يقينياً الان وعلماً لا يزعزعه شك لضعف في نفس أو وسوسة بشر أو جن أو شيطان، ولا يخالطه شك في هذه الحقيقة. علم اليقين بوجود الحياة الآخرة إما جنة أو نار يبتدئ الأن ويتطلب منك أن تعلم أن تلك الحياة تبتدئ الآن وأنك تختار الآن أيها تريد. هذا العلم اليقيني صعب، وصعب للغاية. صعب لنا كبشر لأن هذه طبيعتنا التي تميل إلى الماديات، وصعب على عقولنا التي ارتبط العلم والإدراك لديها بالسمع والبصر واللمس، ونسينا أن هناك فؤاد هو أحد أبواب العلم وقد جبل هذا الفؤاد على الفطرة القائمة على وجود الخالق الذي نسعى كلنا إلى رضاه ولقائه. العلم اليقيني يتطلب اجتهاد ومثابرة كالذي نقوم به في سنوات دراستنا لتحصيل العلم الذي يمكننا من اجتياز الامتحان، قال أعظم من قال (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (39) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) (40) الأنعام)، فالعارف بحقيقة العلم اليقيني بوجود الله والحياة الاخرة يعلم أن التسليم – والذي هو أساس دين الاسلام – ليس كافياً في حد ذاته، وإنما هو البداية أو حجر الأساس إن شئت. البداية بمفهوم أن علم اليقين هو طريق نسير فيه طول حياتنا تمر علينا فيه حفر وأشواك وعواصف وقطاع طرق وأشرار والكثير الكثير من التحديات التي تمثل في حد ذاتها دروساً في هذا العلم، فإما أنك ستكون على مستوى الإدراك المطلوب لتلقي هذا العلم والوصول سالماً إلى موعد قيام الساعة التي هي بوابة الدخول إلى خير الحياة الأخرة أو أن تكون دون ذلك المستوى فتصل وأنت فاقد للقدرة على دخول خير الحياة الاخرة وهناك يقضي الله فيك ما شاء بعزته وقدرته، فيقول الله عز وجل، (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (42) سورة الرعد). علم بهذه البساطة التي يشاركها التعقيد والصعوبة هو علم لأهل الألباب ولمن أراد أن يتعلم، أما من أغفل قلبه طائعاً لهواه أو شيطانه أو أقرانه فلعله ممن لم يرد الله بهم خيراً فيتم عليهم إيمانهم بعلم اليقين.

لقد قص علينا القرآن -وكذلك النبي الكريم في أحاديثه الشريفة – بعضاً من التفاصيل التي يجب أن نعرفها عن الحياة الآخرة، لكن مهما بلغت هذه التفاصيل فلن تعطيك لمحة عن حياتك أنت الذي تقرأ هذه الكلمات الآن عن تلك الحياة، تخيل عزيزي القارئ أن يقص عليك أحدهم ماذا سيحدث لك منذ لحظة بداية خلقك حتى لحظة مماتك بعد بلوغك سنة الخامسة والسبعون، أي ما يقارب 70 سنة من التفاصيل، 27,740 يوماً من التفاصيل، بل 760,665 ساعة من التفاصيل، تخيل كم سيتطلب ذلك ليكتب في كتاب، فما بالك بحياة أبدية! علم الاخرة الخاص بك هو علم مرهون بك أنت ستكتب أغلب تفاصيله بإذن من الله عز وجل، لكن ستحدد الخطوط العريضة لهذه التفاصيل الآن، نعم فأنت كل يوم تختار فيه أن تصدق وأن توقن بأن الله هو الحق وأن الساعة حق والجنة حق والنار حق، فأنت تجعل لتفاصيل حياتك في الحياة الآخرة شكلاً مختلفاً. علم الاخرة هو علم في غيب الله، لكنه علم يجب أن تبدأ في فهمه الأن يجب عليك أن تدرس دروسه الآن. لا شيء في هذه الحياة يستحق أن تفوت درساً من دروس علم الآخرة، من ذلك الكتاب المفتوح أمامك في الامتحان الذي هو لا محالة قادم حين تقف بين يدي خالقك يوم العرض على الجبار العظيم الملك، وحينها تكون قد قدمت لحياتك إما خير أو شر، إما أن تستلم شهادتك بيمينك أو بشمالك. اللهم أجعلنا من أصحاب اليمين.

أخيرا نقول ....

اللهم إنفعنا بما علمتنا ، وعلّمنا ما ينفعنا ، وزدني علماً، اللهم إفتح لي أبواب حكمتك وأنشر علّي من رحمتك وأمنن علّي بالحفظ والفهم ، سُبحانك لا عِلمَ لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

إنتهى المقال
د. أمجد محمد إدريس